الباب الثالث

آداب معلم القرآن

الفصل الأول: آداب صاحب القرآن مع نفسه

يقول النووي في كتابه «التبيان في آداب حملة القرآن»: «وينبغي للمعلم أن يتخلق بالمحاسن التي ورد الشرع بها والخصال الحميدة والشيم المرضية التي أرشده الله إليها، من الزهادة في الدنيا والتقلل منها وعدم المبالاة بها وبأهلها، والسخاء والجود ومكارم الأخلاق، وطلاقة الوجه من غير خروج إلى حد الخلاعة، والحلم والصبر والتنزه عن دنئ المكاسب، وملازمة الورع والخشوع والسكينة والوقار والتواضع والخضوع، واجتناب الضحك والإكثار من المزاح، وملازمة الوظائف الشرعية كالتنظيف والتقليم بإزالة الأوساخ والشعور التي ورد الشرع بإزالتها كقص الشارب وتقليم الظفر وتسريح اللحية، وإزالة الروائح الكريهة والملابس المكروهة، وليحذر كل الحذر من الحسد والرياء والعجب واحتقار غيره وإن كان دونه، وينبغي أن يستعمل الأحاديث الواردة في التسبيح والتهليل ونحوهما من الأذكار والدعوات، وأن يراقب الله تعالى في سره وعلانيته، ويحافظ على ذلك وأن يكون تعويله في جميع أموره على الله تعالى»[1].

وهذا تفصيل لجملة من أخلاق حامل القرآن مع نفسه :

١- الإخلاص وصدق النية.

أمر الله نبيه ﷺ فقال له: ﴿ **فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ** ﴾ [الزمر: ٢]، وروي البخاري ومسلم عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**»[2].

---

(١) التبيان: (٢٢ – ٢٣).

(٢) رواه البخاري رقم: (١، ٥٤، ٢٣٩٢، ٣٦٨٥، ٤٧٨٣، ٦٣١١، ٦٥٥٣)، ومسلم رقم: (١٩٠٧) بلفظ (إنما الأعمال بالنية).

القلوب هي موضع نظر الله تعالي، فالله لا تخدعه الظواهر وإنما ينظر إلي القلوب والسرائر، وكل عمل صالح له صورة وحقيقة، فالصورة الظاهرة يراها الناس بعيونهم، أما حقيقة العمل فلا يطلع عليها إلا الله وحده علام الغيوب.

روي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»**(١).

قال الفضيل رضي الله عنه: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما (٢). وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إنما يحفظ الرجل على قدر نيته. وقال المحاسبي: الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه، ولا يحب إطلاع الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله ولا يكره أن يطلع الناس على السئ من عمله، فإن كراهته لذلك دليل على أنه يحب الزيادة عندهم وليس هذا من علامات الصادقين(٣).

وقال ابن تيمية: إذا حسنت السرائر أصلح الله الظواهر(٤)، وقال ابن الجوزي: فمن أصلح سريرته فاح عبير فضله، وعبقت القلوب بنشر طيبه فالله الله في إصلاح السرائر فإنه ما ينفع مع فسادها صلاح الظاهر(٥). وقال ابن القيم: لا يشم رائحة الصدق عبد داهن نفسه أو غيره(٦). وقال أيضا: لو نفع العمل بلا إخلاص لما ذم الله المنافقين(٧). وقال: وعلى قدر نية العبد وهمته ومراده ورغبته يكون توفيق الله له

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة: (٢٥٦٤).

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن: (٢٠).

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن: (١٩، ٢٠)، مدارج السالكين: (٢/ ٢٨٩، ٣/ ١٨٦).

(٤) مجموع الفتاوى: (٣ / ٢٧٧).

(٥) صيد الخاطر: (٢٨٧).

(٦) الفوائد: (١٨٥).

(٧) الفوائد: (٦٥).

وإعانته، فالمعونة من الله تنزل على العباد على قدر هممهم(١). وقال ابن حبان في روضة العقلاء: إن الرجل ليتكلم بالكلام ينوي فيه الخير فيلقي الله في قلوب العباد حتى يقولوا ما أراد بكلامه إلا الخير(٢).

وقال القرطبي في باب / ما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ به نفسه: «ولا ينتفع بشيء مما ذكرنا حتى يُخلص النية فيه لله جل ذكره عند طلبه أو بعد طلبه كما تقدم. فقد يبتدئ الطالب للعلم يريد به المباهاة والشرف في الدنيا، فلا يزال به فهم العلم حتى يتبين أنه على خطأ في اعتقاده فيتوب من ذلك ويخلص النية لله تعالى فينتفع بذلك ويحسن حاله. قال الحسن: كنا نطلب العلم للدنيا فجرَّنا إلى الآخرة. وقاله سفيان الثوري. وقال حبيب بن أبي ثابت: طلبنا هذا الأمر وليس لنا فيه نية ثم جاءت النية بعد»(٣).

المخلص لا يحب أن يطلع علي عمله إلا الله، لهذا يبادر إلي إخفائه وعدم إظهاره، وكيف يأتي الإخلاص؟ إنه يحتاج إلي ثلاثة أمور حتى يُختم علي العمل بالقبول :

١- تصحيح النية قبل العمل: فالمؤمن يُصفي قلبه من أي غرض وغاية إلا رضا الله، فلا يعمل من أجل مصلحة أو جلب منفعة أو حصول مغنم أو رجاء شهرة وسمعة.

٢- مراقبة النية أثناء القيام بالعمل: فقد يبدأ بالإخلاص ثم يُفسد عليه الشيطان نيته ويجعلها لغير الله وهنا عليه مجاهدة نفسه وشيطانه وهواه أثناء العمل حتى يظل خالصا لوجه الله.

٣- الاستغفار بعد الفراغ من العمل: فقد يشوب العمل ما يفسده من رياء

---

(١) الفوائد: (١٨١).

(٢) روضة العقلاء: (٢٨).

(٣) تفسير القرطبي: (١ / ١٩) باب ما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه به ولا يغفل عنه.

وسمعة، ولهذا شُرع لنا الاستغفار بعد الطاعات لجَبْر ما كان فيها من تقصير وغفلة.

وهل هناك علامات للمخلص يُعرف بها؟ نعم وأهمها ثلاثة :

١- لا يتأثر بالمدح ولا بالذم.

٢- لا يتأثر بوجود الناس ولا بغيابهم.

٣- يرغب في إخفاء العمل. فالمخلص يحب أن تُستر عليه حسناته كما يحب أحدنا أن تُستر عليه سيئاته، اكتفاءا بنظر الله إليه.

*** ومن الأمور التي تنافي الإخلاص:**

أن يقصد الإنسان بتلاوة القرآن الكريم وتعلمّه الدنيا والتكسب بها. ومنها أن يسأل بالقرآن الكريم، كحال بعض المتسولين الذين يقرؤون القرآن عند أبواب المساجد يسألون به الناس، وهؤلاء من أجهل الناس بقدر القرآن ومنزلته. ومنها أن يكون الرجل حسن الصوت بالقرآن فيحب أن يتحدث الناس عنه بذلك.

يقول النووي رضي الله عنهما في كتابه «التبيان»: «وينبغي أن لا يقصد به توصلا إلى غرض من أغراض الدنيا من مال أو رياسة أو وجاهة أو ارتفاع على أقرانه أو ثناء عند الناس أو صرف وجوه الناس إليه أو نحو ذلك»(١).

٢- العمل بالقرآن.

أثنى الله على خُلُق نبيه الكريم ﷺ فقال تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم: ٤]. وتقول أم المؤمنين عائشة رحمها الله في وصف خلق النبي ﷺ: **«كان خلق نبي الله ﷺ القرآن»**(٢).

والمؤمن مأمور بالتأسي بالنبي ﷺ والاقتداء به، قال تعالى: ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي**

---

(١) التبيان: (٢١).

(٢) رواه مسلم عن عائشة: (٢٩٩٦).

﴿ رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]، فمن أراد أن يصل إلى حسن الخلق فطريقه الاقتداء بالنبي ﷺ.

يجب أن تتميز أخلاق حامل القرآن، أما أن يقرأ المؤمن القرآن دون أن يعمل بما فيه فإنه يكون كمن قال الله فيهم: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ [الجمعة: ٥] وهو من شر الناس لقول النبي ﷺ: **«ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس؟ إن من خير الناس رجلاً عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتيه الموت، وإن من شر الناس رجلاً فاجراً يقرأ كتاب الله لا يرعوي إلى شيء منه»**(١).

علامة الإيمان العمل بالقرآن: قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ [البقرة: ١٢١]. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه معنى حق التلاوة: **«والذي نفسي بيده! إن حق تلاوته أن يُحِلَّ حلالَه، ويحرم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأوَّل منه شيئاً على غير تأويله»**(٢).

العلم للعَمل: يبين عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كيف كان هدي السلف في العمل بالقرآن فيقول: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بِهن». ولذلك كان الواحد منهم قرآناً يمشي على الأرض. وينبه ابن مسعود إلى عظيم الخلل الواقع في حياتنا فقال يتحدث عن نفسه وعن صحب النبي ﷺ: «إنا كان يسهل علينا العمل بالقرآن ويصعب علينا حفظه»، يقصد أنهم يستصعبون الحفظ لعلمهم بأنه حجة عليهم بالعمل فقال كنا نستسهل العمل أي ندرك ونفهم فنعمل ونستصعب الحفظ لأن كل حفظ يطالبنا بعمل، قال: «وسيأتي بعدنا أقوامٌ يستسهلون

---

(١) أخرجه أحمد عن أبي سعيد الخدري (٣/ ٣٧)، والحاكم (٢/ ٦٧-٦٨) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) تفسير ابن كثير: (١/ ١٧٥).

الحفظ ويستصعبون العمل»، وعن ابن عمر ﷺ قال: «كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة ونحوها ورزقوا العمل بالقرآن، وإن آخر هذه الأمة يقرؤون القرآن، منهم الصبي والأعمى ولا يرزقون العمل به»(١).

وقد نبه النبي ﷺ إلى أهمية العمل بالقرآن، فقال: **«والقرآن حجة لك أو عليك»** لأن من قرأ القرآن ولم يعمل به كان القرآن حجة عليه.

يقول النووي في «التبيان»: «وقد روينا في مسند الإمام المجمع على حفظه وإمامته أبي محمد الدارمي رحمة الله عليه عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: يا حملة القرآن أو قال يا حملة العلم اعملوا به، فإنما العلم من عمل بما علم ووافق علمه عمله، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم يخالف عملهم علمهم وتخالف سريرتهم علانيتهم، يجلسون حلقا يباهي بعضهم بعضا، حتى أن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله تعالى»(٢).

وقد صح عن الإمام الشافعي ﷺ أنه قال: (وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم -يعني علمه وكتبه- وأن لا ينسب إلي حرف منه)(٣).

٣- التواضع.

روى مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»**(٤). وروي مسلم عن حياض بن حمار ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«إن الله تعالى أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا**

---

(١) تفسير القرطبي: (١/ ٣٩- ٤٠).

(٢) رواه الدارمي في المقدمة باب: التوبيخ لمن يطلب العلم لغير وجه الله رقم: (١٠٦).

(٣) التبيان: (٢٢).

(٤) رواه مسلم عن أبي هريرة: (٢٥٨٨).

يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد»(١).

نعم، رحم الله امرءا عرف قدر نفسه، بلغ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أن ابنه اشترى خاتما بألف درهم فكتب إليه: إنه بلغني أنك اشتريت خاتما بألف درهم، فبعه وأطعم منه ألف جائع، واشتر خاتما من حديد بدرهم، واكتب عليه «**رحم الله امرأ عرف قدر نفسه**».

التواضع ليس مظهرا يراه الناس فهذه صورته أما حقيقته فتبدأ من القلب، إنكسار القلب لله حينما يري الإنسان أنه في ملك الله لا شيء، جاء إلي الحياة والأرض هي الأرض والسماء هي السماء والجبال هي الجبال والنجوم هي النجوم، وسيخرج من الحياة وما تغير فيها شيء إنما هو عابر سبيل مرتحل، إقامته علي الأرض محدودة مؤقتة وليست إقامة مؤبدة ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦].

والتواضع هو خفض جناح الذل والرحمة لعباد الله فلا يحقر من خلق الله أحدا، فرب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لا يؤبه له لو أقسم علي الله لأبره، أخرج الحاكم في المستدرك عن أبي مسعود رضي الله عنه أن رجلا كلم النبي ﷺ يوم الفتح فأخذته الرعدة -أي الهيبة من النبي ﷺ-، فقال النبي ﷺ: «**هون عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد**»(٢).

بل وأخبر النبي ﷺ أصحابه أنه رعي الغنم في مكة. روي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم**». فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «**نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة**»(٣).

---

(١) رواه مسلم عن عياض بن حمار: (٢٨٦٥).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك عن أبي مسعود وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (٤٣٧٧)، وابن ماجه: (٣٣١٢).

(٣) رواه البخاري عن أبي هريرة: (٢٢٦٢).

المتكبر فارغ من الخير، منتفخ علي فراغ وخيبة وخسران: غصن الشجرة إذا كانت فيه ثمرة تراه منحنيا متدليا، فإذا كثرت الثمار فيه تراه يكاد ينكسر من كثرة ما يحمله ويكاد يصل إلي الأرض، أما الغصن الفارغ فإنك تراه شامخا عاليا وهذا دليل فراغه من كل خير ولا ثمرة فيه، ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، روي الترمذي عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا»**(١).

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر ... على صفحات الماء وهو رفيع

ولا تك كالدخان يعلو بنفسه ... إلى طبقات الجو وهو وضيع

المتكبر كرجل يقف علي جبل عال يري الناس صغارا ويرونه صغيرا، روي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل جمته إذ خسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»**(٢). قال سفيان بن عيينة: من كانت معصيته في شهوة فارج له التوبة فإن آدم ﷺ عصى مشتهياً فاستغفر فغفر له، فإذا كانت معصيته من كبر فاخش عليه اللعنة. فإن إبليس عصى مستكبراً فلعن. وروي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله عز وجل: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني في واحد منهما ألقيته في النار»**(٣).

٤- الزهد وترك الطمع في دنيا الناس.

صاحب القرآن لا يطمع في دنيا الناس ولا يرخص نفسه بعدما زكاها الله وشرفها بحمل القرآن، فلا يتخذ آيات الله هزوا ولا يبيعها بدراهم معدودة، ويعف نفسه عن

---

(١) رواه الترمذي عن جابر: (٢٠١٩).

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة: (٥٧٨٩)، ومسلم: (٢٠٨٨).

(٣) رواه مسلم عن أبي هريرة: (٢٦٢٠).

الدنايا حتى لو كان فقيرا حتى يغنيه الله من فضله.

كم من كبار الصحابة والتابعين والعلماء والفقهاء كانوا فقراء بسطاء، احترمهم الناس وهابوهم لأنهم اعتزوا بعلمهم واستغنوا بدينهم عن دنيا الناس، فأحوج الله الناس إليهم ووضع في قلوبهم الهيبة والمحبة لهم.

قال الحسن البصري: لا يزال الرجل كريماً على الناس حتى يطمع في دنياهم فيستخفون به ويكرهون حديثه. وقيل لبعض أهل البصرة: من سيدكم؟ قال: الحسن، قال: بم سادكم؟ قال: احتجنا لعلمه واستغنى عن دنيانا(١).

قال ربنا سبحانه: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨-١٩]، إذا كانت إرادة العبد هي الدنيا، فلا يرى نعيما ولا متاعا إلا في هذه العاجلة، وذلك من قصر نظر العبد وعماه عن الآخرة، فلا يريد حظوظا إلا في هذه العاجلة. أخرج البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لو أن لابن آدم وادياً من ذهب أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب**»(٢).

كثير من الناس دينه دينار، وهمه درهمه، وغاية رغبته من الحياة شهوة بطن وفرج، وهذه ليست مقاصد الحياة ولا من أجلها خلقنا الله. الدنيا ضيقة محدودة، ورزق الإنسان فيها مُقدَّر مقسوم لا يزيد ولا ينقص، فالضرورة للإنسان لها حَدٌّ وغاية، أما الشهوة فلا حَدَّ لها ولا غاية، ومن هنا ينشأ الصراع بين الناس، فكل منهم يريد شهوته التي لا تشبع، ولا يقنع بضرورته من متع الحياة التي يقضي بها رحلته علي الأرض ويكون زاده فيها كزاد الراكب، ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾.

---

(١) فيض القدير للمناوي: (ج١) حديث رقم: (٩٦٠).

(٢) رواه البخاري عن أنس: (٦٤٣٩).

حب الدنيا يؤدي إلي الوقوع في الحرام وهتك الأعراض وسفك الدماء وأكل أموال الناس بالباطل، وهذا يدمر الحياة ولا يبنيها، ويخربها ولا يعمرها، ويفسدها ولا يصلحا، لهذا ما كان النبي ﷺ يخاف علي أمته من الفقر وإنما كان يخاف عليها من فتنة الغنى، روي البخاري عن عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى البحرين يأتي بجزيتها، وكان رسول الله ﷺ هو صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافت صلاة الصبح مع النبي ﷺ، فلما صلى بهم الفجر انصرف، فتعرَّضوا له فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم، وقال: **«أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء»**. قالوا: أجل يا رسول الله، قال: **«فأبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم»**[(١)].

وروي أبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تُسدَّ فاقته، ومن أنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل»**[(٢)]. النافع والضار هو الله وحده، ومن تعلق بغير الله ذل وضل وضاع في دروب هذه الحياة.

قال النووي في «التبيان»: «ومن أهم ما يؤمر به أن يحذر كل الحذر من اتخاذ القرآن معيشة يكتسب بها، فقد جاء عن عبد الرحمن بن شبيل رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: **«اقرؤوا القرآن ولا تأكلوا به ولا تجفوا عنه ولا تغلوا فيه»**، وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **«اقرؤوا القرآن من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه»**

---

(١) رواه البخاري عن عمرو بن عوف النصاري: (٦٤٢٥)، ومسلم: (٢٩٦١).

(٢) رواه أبو داود عن أبي هريرة: (١٦٤٥)، والترمذي: (٢٣٢٦١).

رواه بمعناه من رواية سهل بن سعد، معناه: يتعجلون أجره إما بمال وإما سمعة ونحوها(١).

وروى الترمذي في سننه كتاب «ثواب القرآن» عن عمران بن الحصين رضي الله عنه أنه مر على قارئ يقرأ ثم سأل -أي سأل الناس- فاسترجع -أي قال إنا لله وإنا إليه راجعون- ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من قرأ القرآن فليسأل الله به، فإنه سيجيئ أقوام يقرؤون القرآن يسألون به الناس»** وقال هذا حديث حسن (٢).

٥- علو الهمة في عبادته لله.

يقول أبو بكر الآجري في أخلاق العلماء: «فمن صفته أن يكون لله شاكرا، وله ذاكرا، دائم الذكر، بحلاوة حب المذكور، فنعم قلبه بمناجاة الرحمن، يعد نفسه مع شدة اجتهاده خاطئا مذنبا، ومع الدؤوب على حسن العمل مقصرا، لجأ إلى الله عز وجل فقوي ظهره، ووثق بالله فلم يخف غيره، مستغن بالله عن كل شيء، ومفتقر إلى الله في كل شيء، أنسه بالله وحده، وحشته ممن يشغله عن ربه، إن ازداد علما خاف توكيد الحجة، مشفق على ما مضى من صالح عمله أن لا يقبل منه، همه في تلاوة كلام الله الفهم عن مولاه، وفي سنن رسول الله ﷺ الفقه، لئلا يضيع ما أمر به، متأدب بالقرآن والسنة، لا ينافس أهل الدنيا في عزها، ولا يجزع من ذلها، يمشي على الأرض هونا بالسكينة، والوقار، ومشتغل قلبه بالفهم والاعتبار، إن فرغ قلبه عن ذكر الله فمصيبة عنده عظيمة، وإن أطاع الله عز وجل بغير حضور فهم فخسران عنه مبين، يذكر الله مع الذاكرين، ويعتبر بلسان الغافلين، عالم بداء نفسه، ومتهم لها في كل حال، اتسع في العلوم، فتراكمت على قلبه الفهوم، فاستحى من الحي القيوم. وشغله بالله في جميع

---

(١) التبيان: (٣١).

(٢) رواه الترمذي في سننه كتاب «ثواب القرآن» عن عمران بن الحصين: (٤/ ٢٥١)، وأحمد في المسند: (٤/ ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٩).

سعيه متصل، وعن غيره منفصل. فإن قال قائل: فهل لهذا النعت الذي نعت به العلماء، ووصفتهم به أصل في القرآن أو السنة، أو أثر عمن تقدم؟ قيل له: نعم، وسنذكر منه ما يدل على ما قلنا إن شاء الله. قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩] أفلا ترى، رحمك الله، كيف وصف العلماء بالبكاء والخشية والطاعة والتذلل فيما بينه وبينهم؟»[1].

وقال النووي في «التبيان»: «في المحافظة على القراءة بالليل: ينبغي أن يكون اعتناؤه بقراءة الليل أكثر، قال الله تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣-١١٤]، وثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل**»، وفي الحديث الآخر من الصحيح أنه ﷺ قال: «**يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل ثم تركه**»، وروى الطبراني وغيره عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**شرف المؤمن قيام الليل**» والأحاديث والآثار في هذا كثيرة... وعن يزيد الرقاشي قال: إذا أنا نمت ثم استيقظت ثم نمت فلا نامت عيناي. قلت وإنما رجحت صلاة الليل وقراءته لكونها أجمع للقلب وأبعد عن الشاغلات والملهيات...

ثم قال: واعلم أن فضيلة القيام بالليل والقراءة فيه تحصل بالقليل والكثير، وكلما كثر كان أفضل إلا أن يستوعب الليل كله فإنه يكره الدوام عليه وإلا أن يضر بنفسه، ومما يدل على حصوله بالقليل حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقسطين**» رواه أبو داود وغيره، وحكى الثعلبي

---

(١) أخلاق العلماء: (٤٥ - ٤٦).

عن ابن عباس رحمه الله قال: «من صلى بالليل ركعتين فقد بات لله ساجدا وقائما»[١].

هذه أمة رُبيت في المحراب وخرجت علي الدنيا بأنوار هذا الدين العظيم عملا وسلوكا وأخلاقا وليس كلاما وشعارا ودعاوي، ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الفتح: ٢٩]، سيما المؤمن سكينة ووقار وطمأنينة، تأنس العيون بالنظر إلي الوجوه الساجدة العابدة الطائعة لربها، ألم يقولوا للحسن رضي الله عنهما يوما: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها بالنهار؟ فقال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره.

لما نزلت هذه الآية: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٩] قال ابن عمر رضي الله عنهما: هذا عثمان بن عفان رضي الله عنه. وذلك أنه لم تشغله تجارته عن طاعة ربه. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من أحب أن يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة، فليره الله في ظلمة الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه[٢].

٦- تجديد التوبة والبعد عن المعاصي :

إذا كان تجديد التوبة أمر واجب على كل مسلم، فهو في حق حامل القرآن والعالم والمربي أشد وجوبا، فمن منا لا ذنب له، ومن منا لا خطيئة له؟ أليس كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون؟

وعلى حافظ القرآن وتاليه ومعلمه والمربي المسلم عامة البعد عن المعصية، فإنها تطفئ نور العلم وتذهب بهيبة العالم، وربما نسي ما يحفظه من القرآن والعلم بسبب ظلمة المعاصي. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (إني لأحسب الرجل ينسي العلم

---

(١) التبيان: (٣٧ – ٣٩).

(٢) تفسير القرطبي: (١٥ / ١٥٦).

بالخطيئة يعملها وإن العالم من يخشى الله) (١).

وعن عون بن عبد الله قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (ليس العلم عن كثرة الحديث إنما العلم خشية الله) (٢).

روي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»(٣). هذا حال المعصوم الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف بحالنا وذنوبنا كثيرة وطاعاتنا قليلة؟؟!!

إن الله يعلم ضعف ابن آدم ويعلم ما يحيط به من شهوات وأعداء غيبية تراه ولا يراها، فيفتح له باب التوبة ويقبل منه رجوعه وأسفه واعتذاره، ويحب من عباده التوابين الذين لا يقطعون حبل الرجاء والأمل مهما بلغت ذنوبهم عنان السماء، فليس لنا إلا الله نحبه وندعوه ونرجوه ونطلب عفوه ومغفرته ورضاه، فهو أرحم بعبده من الوالدة بولدها.

وأخرج البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلا مهلكة ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته، فطلبها حتى إذا اشتد عليه العطش والحر قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت، فرجع، فنام نومة، ثم رفع رأسه، فإذا راحلته عنده عليه زاده وطعامه وشرابه، فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده**»، وفي رواية لمسلم عن أنس رضي الله عنه: «**فبينا هو كذلك إذ هو قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك !!!، أخطأ من شدة الفرح**»(٤).

---

(١) رواه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود باب الظاء.

(٢) المصدر السابق.

(٣) رواه البخاري عن أبي هريرة: (٥٩٤٨)، ومسلم عن أبي برزة: (٢٧٠٢).

(٤) رواه البخاري عن ابن مسعود: (٥٩٤٩)، ومسلم عن أنس: (٢٧٤٧).

الاستغفار هو ممحاة الذنوب، والاستغفار له صيغ كثيرة أشهرها أن تقول: أستغفر الله، وأما أفضل صيغة فهي التي علمنا إياها رسول الله ﷺ وسماها سيد الاستغفار، روي البخاري عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**سيد الاستغفار أن تقول اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت** -قال- **ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات من ليله قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة**»(١).

وحامل القرآن يجب عليه ألا يقع في كبيرة ولا يصر على صغيرة، فهذه من شروط العدالة في الرجل الصالح المستقيم، وإن وقع في معصية بضعف فعليه بالاستغفار، والاستغفار يكون من: الصغائر، والكبائر، والتقصير في الطاعات.

يقول ربنا سبحانه: ﴿ **إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا** ﴾ [النساء: ٣١]، وقال سعيد بن جبير: قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما الكبائر سبع؟ قال: هي إلى السبعمائة أقرب منها إلى السبع غير أنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار(٢).

فالتقي لا ينظر إلي صغر المعصية، ولكن ينظر في حق من قد عصى. روي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**»(٣). وأخرج الشيخان عن

---

(١) رواه البخاري عن شداد بن أوس: (٥٩٤٧).

(٢) تفسير القرطبي: (٥/ ١٠٥).

(٣) رواه البخاري عن أبي هريرة: (٢٦١٥)، ومسلم: (٨٩).

أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**»، وكان متكئا فجلس فقال: «**ألا وقول الزور. ألا وشهادة الزور**»، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت[1].

٧- تجديد الشكر لله على نعمة القرآن :

القرآن نعمة تستحق الحمد والشكر، ومن أعطاه الله نعمة القرآن فينبغي عليه أن يعظم هذه النعمة بدوام شكر الله عليها، وسؤاله أن يعيمه على شكرها، فهذه النعمة منافعها وبركانها وخيراتها تمتد من الدنيا إلى الآخرة، فالحمد لله علي نعمة القرآن الكريم الذي من أوصافه: أنه هدي، ورحمة، وشفاء، ونور، وروح.

١- هدي: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩]. يدلنا علي المقاصد والغايات والسبل والوسائل، فمنه نتعلم مَنْ نجا كيف نجا ومَنْ هلك كيف هلك، الشاب الذي ظهرت في حياته فتنة المرأة فليقرأ سورة يوسف ليتعلم كيف تنتصر الإرادة علي الشهوة، وكيف يستعلي الإيمان في الصدور علي كل معصية، ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٠]. مع الله لن تضيع، ومع الله لن تري قلقلا ولا حيرة ولا شتاتا.

كيف أربي ولدي؟ وضع القرآن منهجا لتربية الولد يبدأ من تربية الوالد ليكون صالحا، فالوالد قدوة لولده، وبصلاحه ينصلح الولد وينتفع هو بصلاح ولده بعد موته، ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ [الكهف: ٨٢]، والدعاء للذرية من سنة الأنبياء، ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾ [إبراهيم: ٤٠]، ومن دعاء عباد الرحمن: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤]، وهذا دعاء أم مريم لابنتها: ﴿ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ

(١) رواه البخاري عن أبي بكرة عن أبيه: (٥٩١٨)، ومسلم: (٨٧).

﴿ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

ثم تأتي مرحلة التعليم والدعوة بالصبر مع الحكمة: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

وخير ميراث من الآباء للأبناء هو صلاح الآباء وتقواهم لله ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩].

وهكذا في كل ميدان من ميادين الحياة: الاقتصاد. والاجتماع. الفرد والأسرة. الأمة. أمور الدنيا والآخرة ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

٢- ورحمة: تُغفر بتلاوته الذنوب وتنزل السكينة وتزداد الأجور، روي مسلم أن أسيد بن حضير رضي الله عنه، بينما هو في ليلة يقرأ في مربده، إذ جالت فرسه، فقرأ ثم جالت أخرى فقرأ، ثم جالت أيضا. قال أسيد: فخشيت أن تطأ يحيى. فقمت إليها. فإذا مثل الظلة فوق رأسي. فيها أمثال السرج. عرجت في الجو حتى ما أراها. قال فغدوت على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله! بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي. إذ جالت فرسي. فقال رسول الله ﷺ: **«اقرأ. ابن حضير!»** قال: فقرأت. ثم جالت أيضا. فقال رسول الله ﷺ: **«اقرأ. ابن حضير!»** قال: فقرأت. ثم جالت أيضا. فقال رسول الله ﷺ: **«اقرأ. ابن حضير!»** قال فانصرفت. وكان يحيى قريبا منها. خشيت أن تطأه. فرأيت مثل الظلة. فيها أمثال السرج. عرجت في الجو حتى ما أراها. فقال رسول الله ﷺ: **«تلك الملائكة كانت تستمع لك. ولو قرأت لأصبحت يراها الناس. ما تستتر منهم»**. وفي رواية لمسلم أيضا: عَنِ الْبَرَاءِ رضي الله عنه قَالَ :كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ، وَعِنْدَهُ فَرَسٌ مَرْبُوطٌ بِشَطَنَيْنِ، فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ، فَجَعَلَتْ تَدُورُ وَتَدْنُو، وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ مِنْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ. فَقَالَ: **«تِلْكَ السَّكِينَةُ، تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ»**(١).

---

(١) سبق تخريجه.

٣- وشفاء: ولم يقل دواء، بل جاء بالنتيجة مباشرة، فهو شفاء القلوب من الحيرة والشك والريبة والوساوس والأهواء، فالقلق مرض والحيرة عذاب والوساوس داء، والقرآن شفاء لذلك كله، لأنه يصل القلب بالله فيسكن ويطمئن، ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

٤- ونور: يكشف لنا الطريق، فلا يترك الإنسان لهواه واندفاعه ونزعاته، وإنما ينير له السبيل ليفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام، ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣].

فهو روح يسري في جسد الأمة فيبعث فيها الحياة، ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [النور: ٤٠]. وينعكس نور القرآن على حياتنا فنتعامل به في أخذنا وعطائنا وبيعنا وشرائنا، فإذا تكلمنا تكلمنا بصدق، وإذا نصحنا نصحنا بحكمة وعلم، وإذا أعطينا أعطينا بأمانة، وإذا عملنا عملنا بإتقان، وإذا أخذنا أخذنا بحق، فنكون بذلك مقتدين بنبينا ﷺ الذي وصفته السيدة عائشة رضي الله عنها بقولها :كان خلقه القرآن.

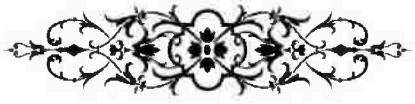

الفصل الثاني
آداب صاحب القرآن مع القرآن

١ - السواك والطهارة.

رغب النبي ﷺ في السواك لأنه مطهرة للفم مرضاة للرب، فقال: «**لولا أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**» رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه(١).

وروى أحمد في مسنده والنسائي وابن حبان في صحيحه والبيهقي في السنن عن عائشة رحمها الله وابن ماجة عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب**»(٢). وروى البخاري وأحمد في مسنده والنسائي عن أنس رضي الله عنه عن النبي رحمه الله قال: «**أكثرت عليكم في السواك**»(٣). أي بالغت في تكرير طلبه منكم.

روى مسلم وأبو داود والنسائي عن عائشة رضي الله عنها كان النبي ﷺ إذا دخل بيته بدأ بالسواك(٤). وروى البخاري ومسلم عن حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك(٥)، يشوص فاه: الشوص دلك الأسنان بالسواك عرضا.

وروى أبو داود: كان لا يرقد من ليل ولا نهار فيستيقظ إلا تسوك «قبل أن يتوضأ»(٦).

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة باب السواك يوم الجمعة: (٨٤٧)، ومسلم باب السواك: (٢٥٢).

(٢) رواه أحمد في المسند عن عائشة: (٢٤٤٠٣)، والنسائي: (٤)، وابن حبان: (١٠٦٧)، والبيهقي في السنن: (١ / ٣٤)، وابن ماجه عن أبي أمامة: (٢٨٩).

(٣) وروى البخاري عن أنس: (٨٨٨)، وأحمد في مسنده: (١٢٠٥٠)، والنسائي: (٥).

(٤) رواه مسلم عن عائشة: (٢٥٣)، وأبوداود: (٥١)، والنسائي: (١ / ١٧).

(٥) رواه البخاري عن حذيفة كتاب أبواب التهجد باب طول القيام في صلاة الليل: (٨٨٩)، ومسلم في صحيحه كتاب الطهارة باب السواك: (٢٥٧).

(٦) رواه أبو داود كتاب الطهارة باب السواك لمن قام من الليل: (٥٧) عن عائشة.

وروى أبو داود عن عمار بن ياسر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن من الفطرة المضمضة الاستنشاق، والسواك وقص الشوارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط والاستحداد وغسل البراجم والإنتضاح بالماء والاختتان**»(١).

قال الشوكاني في حكمة السواك قبل الدعاء وقبل الصلاة: «ووجه ذلك أن الدعاء عبادة باللسان؛ فتنظيف الفم عند ذلك أدب حسن ؛ ولهذا جاءت السنة المتواترة بمشروعية السواك للصلاة، والعلة في ذلك تنظيف المحل الذي يكون الذكر به في الصلاة»(٢).

وقال المناوي في فيض القدير: لأن الملائكة لم يعطوا فضيلة التلاوة كما في خبر آخر، وأنهم حريصون على استماع القرآن من البشر. وقال أيضا: عن الزهري مرسلاً: إذا قام الرجل يتوضأ ليلاً أو نهاراً فأحسن الوضوء واستن ثم قام يصلي أطاف به الملك ودنا منه حتى يضع فاه على فيه فما يقرأ إلا فيه(٣).

قال ابن دقيق العيد: وسر ندب السواك بها أنا مأمورون أن نكون في حالة من أحوال التقرّب إلى الله تعالى أن نكون في حالة كمال ونظافة إظهاراً لشرف العبادة. وقد قيل إن ذلك الأمر يتعلق بالملك، وهو أنه يضع فاه على فم القارئ فيتأذى بالرائحة الكريهة فيسن السواك لأجل ذلك(٤).

وقد أخرج البزار عن علي رضي الله عنه مرفوعاً: «إن العبد إذا تسوك ثم قام يصلي قام الملك خلفه فيستمع لقراءته فيدنو منه حتى يضع فاه إلى فيه، فما يخرج من فيه شيء إلا صار في جوف الملك فطهروا أفواهكم للقرآن»(٥). قال الولي العراقي: رجاله رجال الصحيح.

---

(١) رواه أبو داود كتاب الطهارة باب السواك من الفطرة: (٥٣).

(٢) تحفة الذاكرين: (٤٤).

(٣) فيض القدير للمناوي: (ج١) حرف الهمزة حديث رقم: (٧٨٠).

(٤) أحكام الأحكام: (١/ ٥٦).

(٥) رواه البزار في البحر الزخار عن عليّ: (٦٠٣).

وقال النووي: «يستحب أن يقرأ وهو على طهارة، فإن قرأ محدثا جاز بإجماع المسلمين والأحاديث فيه كثيرة معروفة، قال إمام الحرمين: ولا يقال ارتكب مكروها بل هو تارك للأفضل. فإن لم يجد الماء تيمم والمستحاضة في الزمن المحكوم بأنه طهر حكمها حكم المحدث، وأما الجنب والحائض فإنه يحرم عليهما قراءة القرآن سواء كان آية أو أقل منها، ويجوز لهما إجراء القرآن على قلبهما من غير تلفظ به. ويجوز لهما النظر في المصحف وإمراره على القلب، وأجمع المسلمون على جواز التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير والصلاة على النبي ﷺ. إن قالا لإنسان خذ الكتاب بقوة وقصدا به غير القرآن فهو جائز وكذا ما أشبهه.

ويجوز لهما أن يقولا عند المصيبة ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ إذا لم يقصدا القرآن، قال أصحابنا الخراسانيون: ويجوز أن يقولا عند ركوب الدابة ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾، وعند الدعاء ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ إذا لم يقصدا القرآن. قال إمام الحرمين: فإذا قال الجنب بسم الله والحمد لله فإن قصد القرآن عصى وإن قصد الذكر أو لم يقصد شيئا لم يأثم»[1].

وسيأتي بيان هذا بالتفصيل وأقوال الفقهاء فيه إن شاء الله عند حكم قراءة القرآن للجنب والحائض والمحدث حدثا أصغر.

وروى مالك في الموطأ بإسناده أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان في قوم وهم يقرءون القرآن، فذهب لحاجته ثم رجع وهو يقرأ القرآن، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين أتقرأ القرآن ولست على وضوء؟ فقال له عمر: من أفتاك بهذا أمسيلمة؟[2] ومن تمام الطهارة الاعتناء بالسواك، فالسواك كما ثبت عن النبي ﷺ مطهرة للفم مرضاة للرب، لذا فقد نص جمع من أهل العلم على استحباب التسوك عند تلاوة

---

(١) التبيان: (٤٢).

(٢) الموطأ: كتاب القرآن / باب الرخصة في قراءة القرآن على غير وضوء. طبعة اليمامة صفحة: (١٨٢).

القرآن الكريم.

٢- طهارة مكان القراءة واستقبال القبلة.

قال النووي في «التبيان»: «ويستحب أن تكون القراءة في مكان نظيف مختار ولهذا استحب جماعة من العلماء القراءة في المسجد لكونه جامعا للنظافة وشرف البقعة ومحصلا لفضيلة أخرى وهي الاعتكاف. ثم قال: وعن أبي ميسرة قال: لا يذكر الله إلا في مكان طيب»(١).

كما عد طائفة من أهل العلم استقبال القبلة من آداب تلاوة القرآن الكريم، قال النووي: «يستحب للقارئ في غير الصلاة أن يستقبل القبلة. ولو قرأ قائما، أو مضطجعا، أو على فراشه، أو على غير ذلك من الأحوال جاز، وله أجر، ولكن دون الأول. قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]. وثبت في الصحيح عن عائشة رَحِمَهَا اللَّهُ قالت: «كان رسول الله ﷺ يتكئ في حجري وأنا حائض ويقرأ القرآن﴾ رواه البخاري ومسلم. وعن السيدة عائشة رَحِمَهَا اللَّهُ قالت: «إني لأقرأ حزبي وأنا مضجعة على السرير»...»(٢).

٣- الاستعاذة.

أمر الله تعالى بالاستعاذة عند أول كل قراءة فقال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[النحل: ٩٨]. أي إذا أردت أن تقرأ فأوقع الماضي موقع المستقبل.

وقد روى جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ حين افتتح

---

(١) التبيان: (٤٣).

(٢) التبيان: (٤٥ – ٤٦).

الصلاة قال: «**اللهم إني أعوذ بك من الشيطان من همزه ونفخه ونفثه**»(١)، وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يتعوذ في صلاته قبل القراءة(٢). فالتعوذ بالله من الشيطان قبل القراءة في الركعة الأولى من الصلاة سنة عن رسول الله ﷺ والتعوذ من الشيطان قبل كل قراءة للقرآن الكريم خارج الصلاة جاء به أمر الله لرسوله والمؤمنين، ويشمل هذا الأمر كل بدء للقراءة.

*** من لطائف الاستعاذة :**

قال ابن كثير رضي الله عنهما: «ومن لطائف الاستعاذة أنها طهارة للفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث وتطييب له وتهيؤ لتلاوة كلام الله، وهي استعانة بالله واعتراف له بالقدرة وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو المبين الباطني الذي لا يقدر على منعه ودفعه إلا الله الذي خلقه، ولا يقبل مصانعة ولا يدارى بالإحسان بخلاف العدو من نوع الإنسان كما دلت على ذلك آيات من القرآن في ثلاث من المثاني، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ وقد نزلت الملائكة لمقاتلة العدو البشري فمن قتله العدو الظاهر البشري يوم بدر كان شهيداً، ومن قتله العدو الباطني كان طريداً، ومن غلبه العدو الظاهري كان مأجوراً، ومن قهره العدو الباطني كان مفتوناً أو موزوراً، ولما كان الشيطان يرى الإنسان من حيث لا يراه استعاذ منه بالذي يراه ولا يراه الشيطان» ا.هـ(٣)

وقال البجيرمي رضي الله عنهما: «ومن لطائف الاستعاذة أن قوله: أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم إقرار من العبد بالعجز والضعف، واعتراف من العبد بقدرة الباري عز وجل، وأنه الغني القادر على رفع جميع المضرات والآفات، واعتراف العبد أيضاً بأن الشيطان

---

(١) رواه أحمد عن جبير بن مطعم: (١٦٢٩٨)، وابن ماجه: (٨٠٧).

(٢) مصنف عبد الرزاق عن أبي سعيد الخدري: (٢٥٨٩).

(٣) تفسير ابن كثير: (١ / ٣١).

عدوّ مبين. ففي الاستعاذة التجاء إلى الله تعالى القادر على دفع وسوسة الشيطان الغويّ الفاجر، وأنه لا يقدر على دفعه عن العبد إلا الله تعالى» ا.هـ[١]

وقال ابن سعيد الغرناطي رضي الله عنهما في التسهيل لعلوم التنزيل: «من استعاذ بالله صادقا أعاذه، فعليك بالصدق ألا ترى امرأة عمران لما أعاذت مريم وذريتها عصمها الله، ففي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: **«ما من مولود إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا إلا ابن مريم وأمه»**[٢].

*** حكمة الاستعاذة قبل القراءة:**

قبل تلاوة القرآن: لقول الله تعالى: ﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ** ﴾ [النحل: ٩٨] أي: قل قبل القراءة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال القرطبي رضي الله عنهما: **«أي إذا أردت أن تقرأ ؛ فأوقَعَ الماضي موقع المستقبل»** ا.هـ[٣].

وقال الجصاص رضي الله عنهما: «وقوله: ﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ** ﴾ يقتضي ظاهره أن تكون الاستعاذة بعد القراءة كقوله: ﴿ **فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا** ﴾ [النساء: ١٠٣] ولكنه قد ثبت عن النبي ﷺ وعن السلف الذين ذكرناهم الاستعاذة قبل القراءة. وقد جرت العادة بإطلاق مثله. والمراد إذا أردت ذلك كقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟** ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقوله: ﴿ **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ** ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وليس المراد أن تسألها من وراء حجاب بعد سؤال متقدم، وكقوله تعالى: ﴿ **إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً** ﴾ [المجادلة: ١٢]، وكذلك قوله: ﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ** ﴾ [النحل: ٩٨] معناه: إذا قرأت فقدم الاستعاذة قبل القراءة، وحقيقة معناه: إذا أردت القراءة فاستعذ، وكقول القائل: إذا قلت فاصدق

---

(١) تحفة الحبيب: (١/ ٨٩٣)، إعانة الطالبين: (١/ ٢٠).

(٢) رواه مسلم من حديث أبي هريرة: (٢٣٦٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (١/ ١٥٣).

وإذا أحرمت فاغتسل يعني قبل الإحرام، والمعنى في جميع ذلك إذا أردت ذلك كذلك قوله: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ معناه: إذا أردت قراءته... إنما الاستعاذة قبل القراءة لنفي وساوس الشيطان عند القراءة، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحج: ٥٢] فإنما أمر الله بتقديم الاستعاذة قبل القراءة لهذه العلة. والاستعاذة ليست بفرض لأن النبي ﷺ لم يعلمها الأعرابي حين علمه الصلاة، ولو كانت فرضا لم يخله من تعليمها». ا.هـ(١)

وقال ابن القيم رضي الله عنه: «إن الاستعاذة قبل القراءة عنوان وإعلام بأن المأتي به بعدها القرآن، ولهذا لم تشرع الاستعاذة بين يدي كلام غيره بل الاستعاذة مقدمة وتنبيه للسامع أن الذي يأتي بعدها هو التلاوة فإذا سمع السامع الاستعاذة استعد لاستماع كلام الله تعالى» ا.هـ(٢)

وقال رضي الله عنه مبينا بعض الحكم من الأمر بالاستعاذة قبل القراءة: «إن الشيطان يجلب على القارئ بخيله ورجله حتى يشغله عن المقصود بالقرآن وهو تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد به المتكلم به سبحانه فيحرص بجهده على أن يحول بين قلبه وبين مقصود القرآن فلا يكمل انتفاع القارئ به فأمر عند الشروع أن يستعيذ بالله عز وجل منه. ومنها: أن القارئ يناجي الله تعالى بكلامه والله تعالى أشد أذنا للقارئ الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته والشيطان إنما قراءته الشعر والغناء فأمر القارئ أن يطرده بالاستعاذة عند مناجاة الله تعالى واستماع الرب قراءته. ومنها: أن الله سبحانه أخبر أنه ما أرسل من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته والسلف كلهم على أن المعنى إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته قال الشاعر في عثمان:

---

(١) أحكام القرآن للجصاص: (٣/ ٢٨٢).

(٢) إغاثة اللهفان: (١/ ٩٤).

تمنـــى كتـــاب الله أول ليلـــه وآخـــره لاقـــى حمـــام المقـــادر

فإذا كان هذا فعله مع الرسل عليهم السلام فكيف بغيرهم ولهذا يغلط القارئ تارة ويخلط عليه القراءة ويشوشها عليه فيخبط عليه لسانه أو يشوش عليه ذهنه وقلبه فإذا حضر عند القراءة لم يعدم منه القارئ هذا أو هذا وربما جمعهما له فكان من أهم الأمور الاستعاذة بالله تعالى منه» ا.هـ[١]

وقال ابن تيمية رضي الله عنهما: «الاستعاذة ليست بقرآن ولم تكتب في المصاحف وإنما فيه الأمر بالاستعاذة وهذا قرآن» ا.هـ[٢]

*** الاستعاذة في الصلاة قبل قراءة الفاتحة:**

قال النووي في الأذكار والقرطبي في تفسيره: قال أبو سلمة رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يقول: **«اللهم إني أعوذ بك من الشيطان من همزه ونفثه ونفخه»**.

قال: وكان رسول الله ﷺ يقول: **«تعوذا بالله من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه»** قالوا: يا رسول الله وما همزه ونفخه ونفثه؟ قال: **«أما همزه فهذه الموتة التي تأخذ بني آدم، وأما نفخه فالكبر، وأما نفثه فالشعر»**[٣].

٤- الخشوع.

يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

---

(١) إغاثة اللهفان: (١/ ٩٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٣٥١).

(٣) رواه أحمد (٢٤٨٢٩) واللفظ له ورواه ابن أبي شيبة (١/ ٢٦٩)، وابن حبان (١٣٠٨) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه. والموتة: الجنون. وانظر: الأذكار: (٤٦)، والجامع لأحكام القرآن: (١/ ١٣٦).

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ﴾، يحدث النبي ﷺ به أصحابه، متشابها أي يشبه بعضه بعضا في الفصاحة والبلاغة والدقة والإعجاز، ﴿ مَّثَانِىَ ﴾: قيل أنه يذكر الأمر وضده كذكر الهدى والضلال والحق والباطل والجنة والنار والمؤمنين والكافرين، وقيل: أنه تتكرر قصصه دون أن يشعر سامعه بالتكرار والملل، وقيل: أنه مهما ثَنَّي المسلم قراءته يشعر أنه متجدد لا يبلى من كثرة الرد، فهذا هو إعجاز القرآن الكريم فكيف وقعه علي قلوب المؤمنين؟

إن جلودهم تقشعر وترتجف وتخاف وهي تتلقي هذا النور من ربها، ثم تطمئن القلوب وتلين الجلود وتعلوهم السكينة فتسكن قلوبهم وتهدأ نفوسهم حينما تأنس بذكر الله، وتشرق أرواحهم بنور الله تعالي: ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾.

ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده، ومن ضل واستغنى وانعزل راضيا بدنياه وشهواته فهذا من يهديه من بعد الله؟؟ عن أنس رضي الله عنه قال: خطب رَسُول اللَّهِ ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط! فقال: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً**» قال: فغطى أصحاب رَسُول اللَّهِ ﷺ وجوههم ولهم خنين. متفق عليه [(١)]. والخنين هو الصوت من البكاء.

روي مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ تلا قول الله عَزَّ وَجَلَّ في إبراهيم ﷺ: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ ﴾ الآية [إبراهيم: ٣٦]، وقال عيسى ﷺ: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨] فرفع يديه وقال: «**اللهم أمتي أمتي**» وبكى. فقال اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: «**يا جبريل اذهب إلى محمد** -وربك أعلم- **فسله ما يبكيه؟**» فأتاه جبريل فأخبره رَسُول

(١) رواه البخاري عن أنس: (٤٣٤٥)، ومسلم: (٢٣٠٥).

اللَّهِ ﷺ بما قال وهو أعلم. فقال الله تعالى: «**يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك**»(١).

كم بكي رسول الله ﷺ من أجل هذه الأمة التي أحبها ودعا لها في سجوده طويلا؟ لقد كان حاضرا مع القرآن بقلبه وعقله وجوارحه، ويستحضر معانيه ويعيش فيها ويبكي عند موضع البكاء إظهارا للعبودية والانكسار واللجوء إلي الله في كل طلب ورجاء.

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ ذكر من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «**رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه**»(٢). ولا تفيض العين بالبكاء وتذرف الدموع إلا مع رقة القلب وخشيته، فالعيون لا تدمع إذا كانت القلوب قاسية. ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ [الأنفال: ٢-٣]. وهذا طرف من حال الصحابة مع القرآن :

◘ روي البخاري عن عائشة رحمها الله قالت: لما مرض رسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه، فحضرت الصلاة، فأذن فقال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**». فقيل له: إن أبا بكر رضي الله عنه رجل أسيف، إذا قام في مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس، وفي رواية له: «قلت: إن أبا بكر رجل أسيف، إن يقم مقامك يبك، فلا يقدر على القراءة»(٣).

◘ وكان في وجه عمر رضي الله عنه خطان أسودان من البكاء، وروي ابن المبارك وابن سعد عن عامر بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنة من الأرض فقال: يا ليتني كنت هذه التبنة! ليتني لم أخلق! ليتني لم أك شيئا! ليت أمي لم تلدني! ليتني كنت نسيا منسيا.

---

(١) رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص: (٢٠٥).

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة: (٦٨٠٦)، ومسلم: (١٠٣٣).

(٣) رواه البخاري عن عائشة: (٧١٣).

◘ وهذا عثمان رضي الله عنه البكاء العابد المتهجد يقول: لو طهرت قلوبنا ما شبعت من كلام الله. ويروى أنه قام الليل كله بالقرآن كله في ركعة واحدة عند الحجر الأسود.

◘ وهذا بكاء علي رضي الله عنه بعد صلاة الفجر وهو قابض علي لحيته يقول: آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق.

* وقد ذكر النووي في كتابه «التبيان» صورا أخرى من أحوال الصحابة والسلف الصالح عند قراءة القرآن أو استماعه منها: «وروينا عن بهز بن حكيم أن زرارة بن أوفى التابعي الجليل رضي الله عنه أمهم في صلاة الفجر فقرأ حتى بلغ ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر: ٨-٩] خر ميتا، قال بهز: وكنت فيمن حمله»(١).

قال عطاء دخلت على عائشة رحمها الله -بعد وفاة النبي ﷺ- فقلت لها: أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ فبكت وقالت: وأي شأنه لم يكن عجبا؟ أتاني ليلة فدخل معي في فراشي -أو قالت في لحافي- حتى مس جلدي جلده ثم قال: **«يا ابنة أبي بكر ذريني أتعبد لربي»** فقالت: قلت إني أحب قربك لكني أوثر هواك فأذنت له، فقام إلى قربة ماء فتوضأ فلم يكثر صب الماء، ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك يبكي حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة، فقلت يا رسول الله: ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: **«أفلا أكون عبدا شكورا، ولم لا أفعل ذلك وقد أنزل الله تعالى عليَّ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾** الآية »(٢).

---

(١) التبيان: (٤٧).

(٢) أخرجه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب أخلاق رسول الله ﷺ ومن طريقه ابن الجوزي في الوفا وفيه أبو جناب واسمه يحيى بن أبي حية ضعفه الجمهور ورواه ابن حبان في صحيحه من رواية عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء دون قوله: وأي أمره لم يكن عجبا. وحسنه الألباني في صحيح الترغيب رقم: (١٤٦٨)، وهو عند مسلم من رواية عروة عن عائشة مقتصرا على آخر الحديث.

هذه ليلة واحدة من ليالي نبينا ﷺ المشرقة الطاهرة، فأين ليلنا من ليله، وأين همومنا من همومه؟ أولسنا أحوج منه إلي عفو الله ومغفرته ورحمته؟ فأين دليل هذه الحاجة وتلك الرغبة؟؟

٥- توقير القرآن.

القرآن كلام الله جل وعلا وليس كلام إنس ولا جن، فتوقير القرآن من توقير الله لأن القرآن كلامه، وتعظيم شعائر الله من تقوى القلوب، ذكر البيهقي قال: (كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه).

والصحابة مع شدة توقيرهم وتعظيمهم للقرآن وقد أحلوا حلاله وحرموا حرامه، فكان أحدهم وقافا عند حود الله، وجلا خاشعا منصتا عند سماع آيات الله، فيأتمر بما أمر، وينتهي عما نهى، فصدق فيهم أنهم أهل القرآن وخاصته.

وأما من جاؤوا من بعدهم فلم يكونوا على ذات الطريق إلا من عصم الله ورحم، وهؤلاء قال عنهم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: (يا حملة القرآن اعملوا به فإنما العالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم يخالف عملهم علمهم، وتخالف سريرتهم علانيتهم، يجلسون حلقا يباهي بعضهم بعضا حتى أن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه. أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله تعالى)[1].

وهذه نصيحة غالية لحامل القرآن يقول فيها النووي رضي الله عنه: «ومن آداب حامل القرآن أن يكون على أكمل الأحوال، وأكرم الشمائل، وأن يرفع نفسه عن كل ما نهى القرآن عنه إجلالا للقرآن، وأن يكون مصونا عن دنيء الاكتساب شريف النفس، مرتفعا على الجبابرة والجفاة من أهل الدنيا، متواضعا للصالحين وأهل الخير والمساكين،

---

(١) كنز العمال للمتقي الهندي عن علي بن أبي طالب باب التحذير من علماء السوء وآفات العلم: (٢٩٤١٩). وسبق الحديث عنه من كتاب التبيان للإمام النووي.

وأن يكون متخشعا ذا سكينة ووقار، فقد جاء عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم فقد وضح لكم الطريق فاستبقوا الخيرات، لا تكونوا عيالا على الناس»[١].

فالقرآن له جلال ؛ لذا ينبغي له الإجلال، يقول القرطبي في تفسيره في باب / ما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ به نفسه:

«وينبغي له أن يكون لله حامدا، ولنعمه شاكرا، وله ذاكرا، وعليه متوكلا، وبه مستعينا، وإليه راغبا، وبه معتصما، وللموت ذاكرا، وله مستعدا. وينبغي له أن يكون خائفا من ذنبه، راجيا عفو ربه، ويكون الخوف في صحته أغلب عليه، إذ لا يعلم ما يختم له ويكون الرجاء عند حضور أجله أقوى في نفسه، لحسن الظن بالله، قال رسول الله ﷺ: **«لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن»**. أي أنه يرحمه ويغفر له. وينبغي له أن يكون عالما بأهل زمانه، متحفظا من سلطانه، ساعيا في خلاص نفسه، ونجاة مهجته، مقدما بين يديه ما يقدر عليه من عرض دنياه، مجاهدا لنفسه في ذلك ما استطاع. وينبغي له أن يكون أهم أموره عنده الورع في دينه، واستعمال تقوى الله ومراقبته فيما أمره به ونهاه عنه.

وقال ابن مسعود ﷺ: (ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن لا يكون صخابا، ولا صياحا، ولا حديدا – أي فظا غليظا –)، وقال عبد الله بن عمرو ﷺ: لا ينبغي لحامل القرآن أن يخوض مع من يخوض، ولا يجهل مع من يجهل، ولكن يعفو ويصفح لحق القرآن لأن في جوفه كلام الله تعالى) » أ. هـ. [٢].

---

(١) التبيان: (٣١).

(٢) تفسير القرطبي: (١ / ١٨) باب ما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه به ولا يغفل عنه.

قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢] نعم لا شك أن تعظيم شعائر الله تنبئ على تقوى المسلم وقوة إيمانه ومن أعظم هذه الشعائر تعظيم واحترام كتاب الله العزيز.

وهكذا كان حال الأمة سلفا وخلفا في تعظيم المصحف الشريف واحترامه والتأدب بآدابه والسير على منهاجه.

قال النووي: «وعن الفضيل بن عياض قال ينبغي لحامل القرآن أن لا تكون له حاجة إلى أحد من الخلفاء فمن دونهم. وعنه أيضا قال: حامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن»(١).

وتوقير القرآن من النصح لكتاب الله تعالى الوارد في حديث تميم الداري رضي الله عنه في صحيح مسلمٍ قال: قال رسول الله ﷺ: **«الدين النصيحة»**، قلنا لمن؟ قال: **«لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»**(٢).

قال ابن رجب الحنبلي رضي الله عنها في شرح هذا الحديث: (أما النصح لكتاب الله: فشدةُ حبه، وتعظيم قدره؛ إذ هو كلام الخالق، وشدة الرغبة في فهمه، وشدة العناية لتدبره، والوقوف عند تلاوته؛ لطلب معاني ما أحب مولاه أن يفهمه عنه، ويقوم به له بعد ما فهمه، وكذلك الناصح من العباد يفهم وصية من ينصحه، فكذلك الناصحُ لكتاب ربه، يُعنى بفهمه ؛ ليقوم لله بما أمر به كما يحب ويرضى، ثم ينشر ما فهم في العباد، ويديم مدارسته بالمحبة له، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بآدابه)(٣).

---

(١) التبيان: (٣١).

(٢) رواه مسلم عن تميم الداري: (٥٥).

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي طبعة دار المعرفة: (١ / ٢٢١).

٦- حكم القراءة من المصحف.

ومن بعض الآداب التي ذكرها بعض أهل العلم أيضاً مسألة القراءة في المصحف أو القراءة من الحفظ. أيهما أفضل للتالي: أن يقرأ من المصحف أو يقرأ من حفظه؟ جاء مدح القراءة من المصحف عن النبي ﷺ قوله: «**من سرَّه أن يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف**»[1]، وهذا يدل على فضل القراءة في المصحف. وللعلماء في الترجيح: هل القراءة من المصحف أفضل أو عن ظهر قلب؟ ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن القراءة من المصحف أفضل ؛ لأن النظر فيه عبادة، فيجتمع القراءة والنظر، وأن استعمال الحاسة -حاسة العين- زيادة على اللسان وإخراج الصوت هذا الاستعمال لهذه الحاسة فيه أجر زائد عن عدم استخدام هذه الحاسة. ولا شك أنه قد ثبت عن بعض الصحابة كعثمان رضي الله عنه أنه كان يقرأ في المصحف، حتى قيل: إنه خرق مصحفين، أي: من كثرة استعماله للمصحف تخرق المصحف، وأخذ مصحفاً أخر.. وهكذا، وقتل رضي الله عنه ودمه على المصحف.

القول الثاني: أن القراءة عن ظهر قلب أفضل، وهو اختيار أبو محمد العز بن عبد السلام رضي الله عنهما، فقال في أماليه: قيل: القراءة في المصحف أفضل، لأنه يجمع فعل الجارحتين، وهي: اللسان والعين، والأجر على قدر المشقة، وهذا باطل -هذا رأيه رضي الله عنهما- لأن المقصود من القراءة التدبر؛ لقوله تعالى: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩] والعادةُ تشهد أن النظر في المصحف يُخل بهذا المفهوم فكان مرجوحاً. أي: هو يرى رضي الله عنهما أن القراءة في المصحف تُخالف التدبر؛ لأنه يتدبر أكثر إذا كان يقرأ من حفظه.

القول الثالث: وهو اختيار النووي رضي الله عنهما: إن كان القارئ من حفظه يحصل له من التدبر والتفكر وجمع القلب أكثر مما يحصل له من القراءة في المصحف، فالقراءة من

---

(١) صحيح الجامع عن ابن مسعود وحسنه الألباني رقم: (٦٢٨٩)، وذكره في السلسلة الصحيحة برقم: (٢٣٤٢).

الحفظ أفضل، وإن استويا فمن المصحف أفضل، قال: وهو مراد السلف. وقال في «التبيان»: «قراءة القرآن من المصحف أفضل من القراءة عن ظهر القلب لأن النظر في المصحف عبادة مطلوبة فتجتمع القراءة والنظر هكذا قاله القاضي حسين من أصحابنا وأبو حامد الغزالي وجماعات من السلف، ونقل الغزالي في الإحياء أن كثيرين من الصحابة رضي الله عنهم كانوا يقرؤون من المصحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف. وروى ابن أبي داود القراءة في المصحف عن كثيرين من السلف ولم أر فيه خلافا، ولو قيل إنه يختلف باختلاف الأشخاص فيختار القراءة في المصحف لمن استوى خشوعه وتدبره في حالتي القراءة في المصحف وعن ظهر القلب، ويختار القراءة عن ظهر القلب لمن لم يكمل بذلك خشوعه ويزيد على خشوعه وتدبره لو قرأ من المصحف لكان هذا قولا حسنا، والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل»[1].

ولا شك أن من فوائد القراءة في المصحف:

١- إعطاء العين حظها من العبادة بالنظر في كلام الله، وفي هذا اشغال جارحة العين عن النظر إلى غير المصحف، لأنه ربما إذا لم ينظر في المصحف نظر إلى غير المصحف نظر سهو أو غفلة أو معصية.

٢- لمس المصحف يحتاج إلى الوضوء وهذا بخلاف ما إذا قرأ من حفظه فإنه لا يحتاج أصلاً إلى المصحف حتى يمسه.

٣- القراءة من المصحف تحفظ القارئ من الخطأ والتحريف ؛ لأنه إذا قرأ من حفظه فيمكن أن يخطئ في آية حفظها خطأً، ولكنه إذا قرأ من المصحف ففيه ضمان ضبط القراءة وإتقانها، لأنه يقرأ من صحائف مكتوب، بخلاف الذاكرة التي قد يعتريها ما يعتريها من السهو والنسيان.

---

(١) التبيان: (٥٦).

٤- فيه تكفير للنظر المحرم الذي ارتكبته العين.

وعلى أية حال، فالمسألة قد تختلف باختلاف الأحوال والأشخاص. فإذا كان يتدبر أكثر، فلو قرأ من حفظه فليقرأ من حفظه، وإذا كان يخشى الله أكثر لو قرأ من المصحف يقرأ من المصحف، وإذا كان في مكان ليس فيه مصحف فيقرأ من حفظه، وإذا كان في مسجدٍ وعنده مصحف قرأ من المصحف. إذاً: فالمسألة في هذا واسعة إن شاء الله.

قال الزركشي: «وذُكر أن الأكثرين من الصحابة كانوا يقرءون فى المصحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا فى المصحف. ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعى رضي الله عنه المسجد وبين يديه المصحف فقال: شغلكم الفقه عن القرآن، إنى لأصلى العتمة وأضع المصحف فى يدى فما أطبقه حتى الصبح.

وقال عبد الله بن أحمد كان أبى يقرأ فى كل يوم سبعا من القرآن لا يتركه نظرا... وعن الأوزاعى: كان يعجبهم النظر فى المصحف بعد القراءة هنيهة، قال بعضهم: وينبغى لمن كان عنده مصحف أن يقرأ فيه كل يوم آيات يسيرة ولا يتركه مهجورا» أ.هـ[1].

٧- سجود التلاوة.

من آداب التلاوة أنه إذا مرَّ بسجدة للتلاوة سجد، وقال أبو حنيفة بالوجوب، وأن الكفار يندمون على عدم السجود، وأنه لا يُندم إلا على ترك واجب، واستدل أبو حنيفة وأصحابه ومن وافقهم إلى أن سجود التلاوة واجب؛ لقول الله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۩﴾ [الانشقاق: ٢٠-٢١]، وقالوا: هذا ذم

(١) البرهان: (٢ / ٩٣).

ولا يذم على ترك واجب ؛ ولأنه سجود يفعل في الصلاة فكان واجباً كسجود الصلاة، واختار هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى [١]، وقيل: هو رواية عن الإمام أحمد [٢].

والصحيح أنه سنة مؤكدة وهذا قول الجمهور وهو القول الراجح إن شاء الله، وذهب إلى هذا الإمام أحمد، والإمام مالك، والإمام الشافعي، وهو قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابنه عبد الله رضي الله عنهما أن سجود التلاوة ليس بواجب بل سنة مؤكدة [٣]. ولذلك ذكر عمر رضي الله عنه على المنبر أنه من أراد أن يسجد فليسجد، ومن أراد ألا يسجد فلا يسجد، وأنه ليس عليه حرجٌ من ذلك.

روى البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قرأ يوم الجمعة على المنبر بسورة النحل حتى إذا جاء السجدة نزل فسجد وسجد الناس، حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها حتى إذا جاء السجدة قال: يا أيها الناس إنما نمر بالسجود فمن سجد فقد أصاب، ومن لم يسجد فلا إثم عليه، ولم يسجد عمر رضي الله عنه (وفي لفظ): إن الله لم يفرض علينا السجود إلا أن نشاء[٤].

ومن أوضح الأدلة على أن سجود التلاوة سنة مؤكدة وليس بواجب حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قرأت على النبي ﴿وَالنَّجْمِ﴾ فلم يسجد فيها. متفق عليه[٥].

ورجّح الإمام النووي والحافظ ابن حجر، وابن قدامة -رحمهم الله- أن حديث

---

(١) مجموع الفتاوى: (٢٣/ ١٥٢-١٦٢).

(٢) انظر: الإنصاف مع المقنع والشرح الكبير: (٤/ ٢١٠).

(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم: (٢/ ٤٣١ – و٥/ ٧٨)، والمغني لابن قدامة: (٣/ ٣٦٤).

(٤) رواه البخاري،كتاب سجود القرآن،باب من رأى أن الله عزوجل لم يوجب السجود: (١٠٧٧).

(٥) رواه البخاري، كتاب سجود القرآن، باب من قرأ السجدة ولم يسجد: (١٠٧٢، ١٠٧٣)، ومسلم كتاب المساجد، باب سجود التلاوة: (٥٧٧).

زيد بن ثابت رضي الله عنه هذا محمول على بيان جواز عدم السجود، وأنه سنة مؤكدة وليس بواجب ؛ لأنه لو كان واجباً لأمره بالسجود ولو بعد ذلك [١].

وقال الحافظ ابن حجر: وأقوى الأدلة على نفي الوجوب حديث عمر المذكور في هذا الباب[٢].

لكن ماذا يفعل إذا أراد أن يسجد؟ يكبر ويسجد، وذكر شيخ الإسلام رضي الله عنهما: أن الأفضل أن يكون في حال القيام، لأن قول الله: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: ١٠٧] الخرور يكون من القيام، وإذا سجد ماذا يقول في سجوده؟ يقول: سبحان ربي الأعلى كما يقول في الصلاة، قياساً على الصلاة.

وورد أيضاً دعاء رواه الترمذي وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن رجلاً قال: يا رسول الله ! إني رأيت الليلة أصلي خلف شجرة، فقرأتُ السجدة فسجدت الشجرة بسجودي، فسمعتها وهي تقول: اللهم اكتب لي بها أجراً، وضع عني بها وزراً، واجعلها لي عندك ذخراً، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود) فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم سجدةً بعد ذلك ثم سجد، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: فسمعته يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة [٣]. فإذاً لو قال في سجوده: (اللهم اكتب لي بها أجراً، وضع عني بها وزراً، واجعلها لي عندك ذخراً، وارفعني بها درجة -كما جاء في الرواية الأخرى- وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام) كان ذلك حسناً.

---

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم: (٥/ ٨١)، والمغني لابن قدامة: (٢/ ٣٦٥)، وفتح الباري لابن حجر: (٢/ ٥٥٥).

(٢) فتح الباري: (٢/ ٥٥٨).

(٣) رواه الترمذي عن ابن عباس: (٥٧٦)، وابن ماجه: (١٠٥٣).

*** حكم الطهارة لسجود التلاوة :**

هل يشترط الطهارة لسجود التلاوة؟ هذه مسألة اختلف فيها أهل العلم، فالذين قالوا: إنها تُقاس على الصلاة، اشترطوا الطهارة، وستر العورة، واستقبال القبلة، والمرأة طبعاً بحجابها السابغ الساتر، والذين قالوا: إنه لا يُقاس عليه لم يشترطوا ذلك، فالأحوط أن الإنسان يكون على طهارة، ويستقبل القبلة، ويكون مستور العورة.. ونحو ذلك من الشروط، ويسجد.

هل إذا رفع يكبر أم لا؟ إذا كان في الصلاة يُكبر، لأن الحديث: (كان يُكبر عند كل خفضٍ ورفع) فعموم الحديث يقتضي أنه إذا سجد في الصلاة - سجود التلاوة - يكبر عند السجود، ويكبر عند الرفع من سجدة التلاوة. وفي خارج الصلاة، هل يكبر عندما يرفع من سجود التلاوة أو لا يكبر؟ وهل يتشهد ويسلم أم لا يتشهد ولا يسلم؟ خلاف بين العلماء، وهذه بعض أحكام مختصرة لبعض أحكام سجدة التلاوة:

١- سجود التلاوة: هو قيام المكلف المسلم بفعل السجود لله عند سماع آية فيها سجدة.

٢- سجود التلاوة سنة في قول أكثر أهل العلم.

٣- وهي سجدة بين تكبيرتين، ولا تسليمة فيها.

٤-اختلف الفقهاء في اشتراط الطهارة لسجود التلاوة، وكان لهم فيه الأقوال التالية: القول الأول: يشترط فيها شروط الصلاة من الطهر والستر والتوجه للقبلة ودخول وقتها وهو بالفراغ من قراءة آياتها وهي كسجدتي الصلاة في الفروض والسنن وبهذا قال الشافعية والحنابلة والمالكية، ونقل بعض الفقهاء الإجماع عليه، وقال ابن قدامة: لا نعلم في هذا خلافاً[1].

---

(١) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن للنووي: (٨٠/ ٨١)، وشرح المنهاج للشيخ زكريا الأنصاري: (١/ ٢٧٢)، والمهذب للشيرازي: (١/ ٩٣)، وحاشية البجيرمي: (١/ ٢٦٩) في فقه الشافعية، والمغني لابن قدامة في فقه الحنابلة: (١/ ٥٣٨)، والفواكه الدواني: (١/ ٢٩٧) في فقه المالكية.

القول الثاني: يجوز سجودها على غير وضوء وإلى غير القبلة كيف ما يمكن، روى عن ابن عمر والشعبي وأبو عبدالرحمن السلمي وهو قول ابن حزم.

٥- واستدل الجمهور بعموم قوله ﷺ: **«لا يقبل الله صلاة بغير طهور»**، قالوا: وهذا عام في كل صلاة، وسجود التلاوة صلاة، فيأخذ حكمها.

٦-واستدل الآخرون بأن بعض الصحابة حضر تلاوته ﷺ، وسجد على غير وضوء، ولم يفعله النبي ﷺ بالطهارة.

وقد اختار شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه أنه لا تحريم لسجود التلاوة، - أي: لا يوجد لها تكبيرة إحرام- ولا سلام، وهو مذهب الحنفية والمالكية، غير أن ابن تيمية يرى أنه يكبر لسجود التلاوة تكبيرة واحدة فقط. واختار شيخ الإسلام أنه يجوز سجود التلاوة بغير طهارة، لكن يقيد الجواز بوجود العذر الداعي إليه، وهو ظاهر قوله، لكن بشروطٍ أفضل - أي: سجدة التلاوة- ولا ينبغي أن يُخل بها إلا لعذر، وعلى هذا فاختياره عدم الوضوء لسجود التلاوة ليس على إطلاقه، وجاء في حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن النبي ﷺ سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والأنس) والحديث ترجم له البخاري باب: سجود المسلمين مع المشركين والمشرك نجس ليس له وضوء [١]، و«كان ابن عمر رضي الله عنهما يسجد وهو على غير وضوء».

وقال ابن حجر: الجمع بين رواية أنه سجد على طهارة وبين ما فعله بأنه أراد بقوله: «طاهر.. أي: الطهارة الكبرى، والثاني: أنه سجد على غير طهارة في حال الضرورة، أما في حال الاختيار فإنه يتوضأ. إذاً: قول جمهور العلماء أنه يتوضأ لسجود التلاوة، ولكن ذهب بعض أهل العلم إلى عدم وجوب الوضوء عند العذر.. حيث أنه لما سمعَ السجدة كان غير متوضئ فسجد، ولم يرد في السنة في غير الصلاة، التكبيرة

(١) رواه البخاري عن ابن عباس: (١٠٢١).

الثانية والتسليم، وإنما ورد أنه يكبر للسجود ويرفع فقط. وداخل الصلاة يكبر عند السجود ويكبر عند الرفع منه»[١].

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله» وفي رواية «ياويلي، أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار»**[٢].

٨- البكاء عند قراءة القرآن.

روى البخاري أن النبي ﷺ قال لابن مسعود ﷺ: **«اقرأ علي القرآن»** فقلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: **«نعم إني أحب أن أسمعه من غيري»**، قال: فافتتحت سورة النساء حتى جئت إلى قوله تعالى: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا** ﴾ فقال: حسبك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان[٣].

هذا هو أثر القرآن في القلوب الطاهرة الصافية التقية النقية، تسمع كلام ربها خاشعة متدبرة متأملة، فيفيض عليها نورا وعلما وهدي ورحمة، وإذا خشعت القلوب دمعت العيون، ومن سمع القرآن بلا قلب فكيف تفيض عينه وتخشع جوارحه؟؟ ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾.

٩- الدعاء عند المرور بآيات الرحمة وآيات العذاب.

قال القرطبي عند تفسيره لهذه الآية: ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ [البقرة: ١٢١]. وعن عمر بن الخطاب ﷺ:

---

(١) فتح الباري لابن حجر: (٢ / ٥٥٣ – ٥٥٤).

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة: (٨١)، وابن ماجه: (١٠٥٢).

(٣) رواه البخاري عن ابن مسعود: (٤٧٦٣).

هم الذين إذا مروا بآية رحمة سألوها من الله، وإذا مروا بآية عذاب استعاذوا منها [١].

وروى مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة. فافتتح البقرة. فقلت: يركع عند المائة. ثم مضى. فقلت: يصلي بها في ركعة. فمضى. فقلت: يركع بها. ثم افتتح النساء فقرأها. ثم افتتح آل عمران فقرأها. يقرأ مترسلا. إذا مر بآية فيها تسبيح سبح. وإذا مر بسؤال سأل. وإذا مر بتعوذ تعوذ. ثم ركع فجعل يقول: «**سبحان ربي العظيم**» فكان ركوعه نحوا من قيامه. ثم قال: «**سمع الله لمن حمده**» ثم قام طويلا. قريبا مما ركع. ثم سجد فقال: «**سبحان ربي الأعلى**» فكان سجوده قريبا من قيامه[٢].

روى البيهقي عن عائشة رحمها الله قال: «كنت أقوم مع رسول الله ﷺ في الليل فيقرأ بالبقرة، وآل عمران، والنساء، فإذا مر بآية فيها استبشار دعا ورغب، وإذا مر بآية فيها تخويف دعا واستعاذ»[٣].

وأخرج أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي والبيهقي عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: «قمت مع رسول الله ﷺ ليلة، فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ. ثم ركع بقدر قيامه، يقول في ركوعه: سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة. ثم سجد بقدر قيامه، ثم قال في سجوده مثل ذلك. ثم قام فقرأ بآل عمران، ثم قرأ سورة سورة»[٤].

قال المناوي في شرح الحديث: كان إذا قرأ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ أي سورتها قال:

---

(١) تفسير القرطبي: (٢ / ٦٦).

(٢) رواه مسلم عن حذيفة: (٢٠٣).

3 رواه البيهقي عن عائشة في السنن: (٢ / ٣١٠).

(٤) روى أبو داود عن عوف بن مالك الأشجعي: (٨٧٣)، والترمذي في الشمائل: (٣١٤)، والنسائي: (١١٣٢)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٢ / ٣١٠).

«**سبحان ربي الأعلى**» لما سمعته فيما قبله، وأخذ من ذلك أن القارئ أو السامع كلما مر بآية تنزيه أن ينزه الله تعالى، أو تحميد أن يحمده، أو تكبير أن يكبره، وقس عليه، ومن ثمَّ كان بعض السلف يتعلق قلبه بأول آية فيقف عندها فيشغله أولها عن ذكر ما بعدها[١].

قال النووي في «كتاب الأذكار»: «يسنّ لكل مَن قرأ في الصلاة أو غيرها إذا مرّ بآية رحمة أن يسأل الله تعالى من فضله، وإذا مرّ بآية عذاب أن يستعيذ به من النار أو من العذاب أو من الشرّ أو من المكروه، أو يقول: اللهمّ إني أسألك العافية أو نحو ذلك ؛ وإذا مرّ بآية تنزيه لله سبحانه وتعالى نزَّهَ فقال: سبحانه وتعالى، أو: تبارك الله ربّ العالمين، أو: جلَّت عظمة ربنا، أو نحو ذلك» أ.هـ. [٢].

قال الخطيب الشربيني في مغني المحتاج: «ويسن للقاريء في الصلاة وخارجها إذا مر بآية الرحمة أن يسأل الله الرحمة أو بآية عذاب أن يستعيذ منه أو بآية تسبيح أن يسبح أو بآية مثل أن يتفكر.

وإذا قرأ ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ قال: «**بلى وأنا على ذلك من الشاهدين**»، وإذا قرأ: ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ قال: «**آمنت بالله**»، وإذا قرأ: ﴿ فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴾ قال: «**الله رب العالمين**» أ.هـ[٣].

واستحب الحنابلة ذلك في النوافل دون الفريضة حيث جاء في المغني والشرح الكبير: «ويستحب للمصلي نافلة إذا مرت به آية رحمة أن يسألها، أو آية عذاب أن يستعيذ منها... ولا يستحب ذلك في الفريضة لأنه لم ينقل عن النبي ﷺ في فريضة مع كثرة من وصف قراءته فيها»[٤].

---

(١) فيض القدير للمناوي: باب (كان) وهي الشمائل الشريفة.

(٢) الأذكار للنووي: (٣٧ - بابُ القراءةِ بعدَ التَّعوُّذ).

(٣) مغني المحتاج طبعة دار المعرفة: (١ / ٢٧٨) «كتاب الصلاة» باب صفة -أي كيفية- الصلاة.

(٤) المغني: (١ / ٥٨٧).

وقال النووي: «قال أصحابنا رحمهم الله تعالى ويستحب هذا السؤال والاستعاذة والتسبيح لكل قارئ سواء كان في الصلاة أو خارجا منها، قالوا: ويستحب ذلك في صلاة الإمام والمنفرد والمأموم لأنه دعاء فاستووا فيه كالتأمين عقب الفاتحة، وهذا الذي ذكرناه من استحباب السؤال والاستعاذة هو مذهب الشافعي رضي الله عنه وجماهير العلماء رحمهم الله، قال أبو حنيفة رضي الله عنهما: ولا يستحب ذلك بل يكره في الصلاة والصواب قول الجماهير لما قدمناه»(١).

وهذه جملة آداب ذكرها الزركشي في كتابه «البرهان» فيما يتعلق بالدعاء والوقوف عند بعض آيات الرحمة وآيات العذاب، فقال:

«وينبغى أن يشتغل قلبه فى التفكر فى معنى ما يلفظ بلسانه، فيعرف من كل آية معناها، ولا يجاوزها إلى غيرها حتى يعرف معناها، فإذا مر به آية رحمة وقف عندها وفرح بما وعده الله تعالى منها، واستبشر إلى ذلك وسأل الله برحمته الجنة، وإن قرأ آية عذاب وقف عندها وتأمل معناها فإن كانت فى الكافرين اعترف بالإيمان فقال آمنا بالله وحده، وعرف موضع التخويف ثم سأل الله تعالى أن يعيذه من النار» أ.هـ(٢).

١٠- الترهيب من تفسير القرآن بغير علم.

يقول النووي: «ويحرم تفسيره بغير علم والكلام في معانيه لمن ليس أهلا لذلك والأحاديث في ذلك كثيرة والإجماع منعقد عليه، وأما تفسيره للعلماء فجائز حسن والإجماع منعقد عليه، فمن كان أهلاً للتفسير جامعاً للأدوات التي يعرف بها معناه وغلب على ظنه المراد فسره إن كان مما يدرك بالاجتهاد كالمعاني والأحكام الجلية والخفية والعموم والخصوص والإعراب وغير ذلك، وإن كان مما لا يدرك بالاجتهاد

(١) التبيان: (٥٢).

(٢) البرهان للزركشي: (٢ / ٨٣).

كالأمور التي طريقها النقل وتفسير الألفاظ اللغوية فلا يجوز الكلام فيه إلا بنقل صحيح من جهة المعتمدين من أهله، وأما من كان ليس من أهله لكونه غير جامع لأدواته فحرام عليه التفسير، لكن له أن ينقل التفسير عن المعتمدين من أهله» أ.هـ[١].

فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام، روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار**»[٢].

وروى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار**» وبه إلى الترمذي عن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال في القرآن برأية فأصاب فقد أخطأ**»[٣]، قال الترمذي هذا حديث غريب.

وهكذا روي عن بعض أهل العلم عن أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أنهم شددوا في أن يفسر القرآن بغير علم. وأما الذي روي عن مجاهد وقتادة وغيرهما من أهل العلم أنهم فسروا القرآن فليس الظن بهم أنهم قالوا في القرآن أو فسروه بغير علم أو من قبل أنفسهم. وقد روي عنهم ما يدل على ما قلنا أنهم لم يقولوا من قبل أنفسهم بغير علم، فمن قال في القرآن برأية فقد تكلف ما لا علم به، وسلك غير ما أمر به فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ ؛ لأنه لم يأت الأمر من بابه، كمن حكم بين الناس عن جهل فهو في النار وإن وافق حكمه الصواب في نفس الأمر، لكن يكون أخف جرما ممن أخطأ.

ولهذا تحرج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به، كما روى شعبة عن

---

(١) التبيان: (٩٠ – ٩١).

(٢) رواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، (٢٩٥٠).

(٣) رواه أبو داود، كتاب العلم باب الكلام في كتاب الله بغير علم، رقم (٣٦٥٢)، والترمذي، كتاب تفسير القرآن باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، (٢٩٥٢).

سليمان عن عبد الله بن مرة عن أبي معمر قال: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله ما لم أعلم) (١).

وعن أنس رضي الله عنه: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ على المنبر: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ فقال: ما الأب؟ فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم رفع عصا كانت بيده وقال: هذا لعمر الله التكلف، وما عليك يا ابن أم عمر ألا تدري ما الأب؟ ثم قال: اتبعوا ما بين لكم من هذا الكتاب، وما لا فدعوه(٢).

وهذا كله محمول على أنهما رضي الله عنهما إنما أرادا استكشاف ماهية الأب، وإلا فكونه نبتا من الأرض ظاهر لا يجهل لقوله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠ وَفَٰكِهَةً وَأَبّٗا﴾. ولا يخفى على أبي بكر وعمر أن الأب نبات من الأرض لكنهما أرادا رضي الله عنهما تعيين هذا الأب ما هو؟ وأي شجر هو؟ فأشكل عليهم، والظاهر والله أعلم أنه نبت صالح، يعنى بمعنى أنه شامل عام لكل ما يكون نبتاً.

وقال ابن جرير: «عن ابن أبي ملكية أن ابن عباس رضي الله عنهما سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها فأبي أن يقول فيها، إسناده صحيح. - أي أن ابن عباس رضي الله عنهما الذي دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يعلمه الله التأويل، يقول لو يسأل عن الآية التي لو سئل عنها بعضكم الآن لأجاب. وهذا يدل على أنه يجب التحري في تفسير كلام الله سبحانه وتعالي -. وعن ابن أبي ملكية قال: سأل رجل ابن عباس رضي الله عنهما عن: ﴿يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [السجدة: ٥]، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: فما ﴿يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [المعارج: ٤] فقال الرجل: إنما سألتك لتحدثني، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: (هما يومان ذكرهما الله في كتابه والله أعلم بهما) فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم.

وقال مالك عن يحيي بن سعيد عن سعيد بن المسيب: «إنه كان إذا سئل عن تفسير

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٦/ ١٣٦).

(٢) تفسير القرطبي: (١٩/ ١٤٥).

آية من القرآن قال: إنا لا نقول في القرآن شيئاً.

وقال الليث عن يحيي بن سعيد عن سعيد بن المسيب: إنه كان لا يتكلم إلا في المعلوم من القرآن.

وقال شعبة عن عمرو بن مرة قال: سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن فقال: لا تسألني عن القرآن وسل من يزعم أنه لا يخفى عليه منه شيء يعني عكرمة. وقال ابن شوذب: حدثني يزيد بن أبي يزيد قال: كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام وكان أعلم الناس، فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع.

وقال ابن جرير: عن عبيد الله بن عمر قال: لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظمون القول في التفسير منهم سالم ابن عبد الله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع. وعن هشام بن عروة قال: ما سمعت أبي تأول آية من كتاب الله قط.

وعن محمد بن سيرين قال: سألت عبيدة السلماني عن آية من القرآن فقال: ذهب الذين كانوا يعلمون فيما أنزل من القرآن، فاتق الله وعليك بالسداد.

وعن عبيد الله بن مسلم بن يسار عن أبيه قال: إذا حدثت عن الله فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده. وعن مسروق قال: اتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن الله.

فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه»[1].

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]. قال البغوي:

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية: (١٣ / ٣٧٢ – ٣٧٤)، وانظر أيضا مقدمة تفسير الطبري: (١/ ٤٥– ٤٦)، تفسير القرطبي: (١/ ٢٥ – ٢٨).

(هو عام في تحريم القول في الدين من غير يقين) [١].

وقال الإمام ابن القيم: «وقد حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا منها، فرتب المحرمات أربع مراتب وبدأ بأسهلها وهو الفواحش ثم ثنى بما هو أشد تحريما منه وهو الإثم والظلم ثم ثلث بما هو أعظم تحريما منهما وهو الشرك به سبحانه ثم ربع بما هو أشد تحريما من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه»[٢].

وقال الرسول ﷺ: **«من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»** رواه الترمذي وحسنه[٣]، وقال الرسول ﷺ: **«اتقوا الحديث عني الا ما علمتم فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»** رواه الترمذي وحسنه[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه: «فمن قال في القرآن برأيه، فقد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أُمِر به، فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ، لأنه لم يأتِ الأمر من بابه، كمن حكم بين الناس على جهل فهو في النار، وإن وافق حكمه الصواب»[٥].

هذه وصية لكل العلماء والمربين بأنهم إذا جهلوا شيئا ألا يستنكفوا أن يقولوا: (لا أعلم)، فكثير من المربين قد يدخله شيء من الكبر أو العجب فيقول بغير علم فيزل ويخطئ وربما نقل عنه ذلك فيزيد به الضرر، ولا يستطيع أحد أن يدعي معرفة كل

---

(١) تفسير البغوي: (٢/ ١٠٠).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين: (١ / ٣٣).

(٣) رواه الترمذي عن ابن عباس: (٤٠٢٢)، وقد سبق تخريجه.

(٤) رواه الترمذي عن ابن عباس: (٤٠٢٣).

(٥) مجموع الفتاوى: (١٣/ ٣٧١).

شيء، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

عن مسروق تلميذ ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخلنا على عبد الله بن مسعود قال: يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم. قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص: ٨٦].

وعن عمران بن الجعد قال: قال ابن مسعود رضي الله عنه: (إن الناس قد أحسنوا القول كلهم فمن وافق قوله فعله فذلك الذي أصاب حظه ومن خالف قوله عمله فإنما يوبخ نفسه)[١].

١١- ترك الجدال والمراء في القرآن.

قال النووي: «يحرم المراء في القرآن والجدال فيه بغير حق، فمن ذلك أن يظهر فيه دلالة الآية على شيء ويحتمل احتمالاً ضعيفاً فيحملها ويناظر على ذلك مع ظهورها في خلاف ما يقول، وأما من لا يظهر له ذلك فهو معذور، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«المراء في القرآن كفر»**، قال الخطابي: المراد بالمراء الشك وقيل الجدال المشكك فيه وقيل وهو الجدال الذي يفعله أهل الأهواء في آيات القدر ونحوها». وقال في أدب السؤال عن آية: «وينبغي لمن أراد السؤال عن تقديم آية على آية في المصحف أو مناسبة هذه الآية في هذا الموضع ونحو ذلك أن يقول ما الحكمة في كذا»[٢].

فمن آداب التلاوة عدم الجدال في القرآن بالباطل، ولذلك قال ﷺ: **«اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فيه فقوموا»**[٣]. لأن البقاء يؤدي إلى التنازع والعبث بآيات الله.

---

(١) كنز العمال في آداب العلم متفرقة رقم: (٢٩٥٤٠).

(٢) التبيان: (٩١).

(٣) رواه البخاري عن جندب بن عبد الله البجلي: (٤٧٧٣)، ومسلم: (٢٦٦٧).

ما هي مشكلة صبيغ بن عسل مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه؟ كان هذا الرجل يتتبع المشتبهات في القرآن، والأشياء التي ظاهرها في ذهنه هو التعارض ويثير الشبهات، فضربه عمر بعراجين النخل حتى سالت دماؤه على جسده، وقال: كفى يا أمير المؤمنين ذهب الذي في رأسي. لا مكان للبدع في عهد عمر ولم تظهر بدعة في عهد عمر؛ لأنه كان شديداً على أهل البدع، وقد نفاه وأمر الناس بعدم التكلم معه حتى صار في حالٍ مزرية جداً، وكتب الوالي استرحاماً لعمر بشأن هذا الرجل، لأنه تاب ولم يعد يتكلم بشيء ولا أثار شبهة.

وقال ابن تيمية بعد ذكر طرف من هذه القصة: [فى صحيح البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رحمها الله: **«يا عائشة إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذريهم»** وهذا عام، وقصة صبيغ بن عسل مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أشهر القضايا فإنه بلغه أنه يسأل عن متشابه القرآن حتى رآه عمر، فسأل عمر عن الذاريات ذروا؟ فقال: ما اسمك؟ قال: عبدالله صبيغ؟ فقال: وأنا عبدالله عمر، وضربه الضرب الشديد.

وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا ألح عليه رجل فى مسألة من هذا الجنس يقول ما أحوجك أن يصنع بك كما صنع عمر بصبيغ، وهذا لأنهم رأوا أن غرض السائل ابتغاء الفتنة لا الاسترشاد والاستفهام كما قال النبى صلى الله عليه وسلم إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه وكما قال تعالى: ﴿ **فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ** ﴾ فعاقبوهم على هذا القصد الفاسد، كالذى يعارض بين آيات القرآن وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال: **«لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض»** فإن ذلك يوقع الشك فى قلوبهم، ومع ابتغاء الفتنة ابتغاء تأويله الذى لا يعلمه إلا الله، فكان مقصودهم مذموما ومطلوبهم متعذرا مثل أغلوطات المسائل التى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها» أ. هـ[1].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية: (١٣/ ٣١١)، وأيضا في: (٢٨ / ١٠٩).

وقد حذَّر الرسول ﷺ من الجدال بالباطل، فقال: «**المراء في القرآن كفرٌ**»(١)، ونهى عن الجدال في القرآن، فلا ينبغي أن تُجعل آيات الله قضية للجدل.

١٢- أحوال تُكره فيها القراءة.

قال النووي: «قراءة القرآن على الإطلاق مندوبة ومستحبة، إلا في أحوال مخصوصة جاء الشرع بالنهي عن القراءة فيها وهي :

١- تكره القراءة في حال الركوع، والسجود، والتشهد، وغيرها من أحوال الصلاة سوى القيام.

٢- وتكره القراءة بما زاد على الفاتحة للمأموم في الصلاة الجهرية، إذا سمع قراءة الإمام.

٣ - وتكره حالة القعود على الخلاء.

٤ - وفي حالة النعاس.

٥- وكذا إذا استعجم عليه القرآن.

٦ - وكذا في حالة الخطبة لمن يسمعها ولا تكره لمن لم يسمعها بل تستحب هذا هو المختار الصحيح.

ولا تكره القراءة في الطواف، هذا مذهبنا، وبه قال أكثر العلماء وحكاه ابن المنذر عن عطاء، ومجاهد، وابن المبارك، وأبي ثور وأصحاب الرأي»(٢).

---

(١) رواه أبو داود عن أبي هريرة: (٤٦٠٣).

(٢) التبيان: (٦٥).

١٣- كراهة قطع القراءة لمكالمة الناس :

من أدب التلاوة ألا يخلط كلام الله بكلام غيره، لهذا من المواضع التي يُكره فيها إلقاء السلام هو إلقاء السلام على قارئ القرآن، لأنه مشغول بعبادة عظيمة ويناجي ربه بكلامه، فلا ينبغي أن يقطع عليه أحد هذه المناجاة، وإلا كلما دخل عليه أحد فسلَّم رد عليه السلام لم يستطع إكمال القراءة مع حضور قلب وتدبر وخشوع، قال الزركشي: [ويكره قطع القرآن لمكالمة الناس، وذلك أنه إذا انتهى فى القراءة إلى آية وحضره كلام فقد استقبله التى بلغها والكلام، فلا ينبغى أن يؤثر كلامه على قراءة القرآن قاله الحليمى وأيده البيهقى بما رواه البخارى كان ابن عمر رضي الله عنه: «إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه»(١).

وقال أيضا: «استماع القرآن والتفهم لمعانيه من الآداب المحثوث عليها ويكره التحدث بحضور القراءة، قال الشيخ أبو محمد بن محمد عبد السلام والاشتغال عن السماع بالتحدث بما لا يكون أفضل من الاستماع سوء أدب على الشرع»(٢).

وقال القرطبي في تفسيره: «ومن حرمته إذا أخذ في القراءة لم يقطعها ساعة فساعة بكلام الآدميين من غير ضرورة. ومن حرمته أن يخلو بقراءته حتى لا يقطع عليه أحد بكلام فيخلطه بجوابه، لأنه إذا فعل ذلك زال عنه سلطان الاستعاذة الذي استعاذ في البدء. ومن حرمته أن يقرأه على تؤدة وترسيل وترتيل.

ومن حرمته أن يستعمل فيه ذهنه وفهمه حتى يعقل ما يخاطب به»(٣).

---

(١) البرهان للزركشي: (٢ / ٩٦).

(٢) المصدر السابق: (٢ / ١٠٥).

(٣) تفسير القرطبي: (١/ ٢٢) من مقدمة التفسير.

الفصل الثالث
آداب صاحب القرآن مع الناس

١- الوقار والهيبة.

إن الوقار صفة تنتج عن التحلي بمجموعة من الأخلاق الكريمة الأخرى كالحلم والسكينة والرزانة والوداعة والثبات. ولهذا عرفه بعضهم بأنه: التأني في التوجه نحو المطالب.

وعرفه الجاحظ بأنه: الإمساك عن فضول الكلام والعبث، وكثرة الإشارة والحركة فيما يستغنى عن التحرك فيه، وقلة الغضب والإصغاء عن الاستفهام، والتوقف عن الجواب والتحفظ من التسرع والمباكرة في جميع الأمور.

وقد حرص الشرع على تحلية المؤمنين بحلية الوقار وزينته، ففي أمر من أهم أمور المسلمين في دينهم يحثهم نبي الإسلام على الوقار حين يقول ﷺ: **«إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار، ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا»**[(١)].

وإذا كان المسلم مطالبًا بذلك فأجدر بأهل العلم والديانة أن يحرصوا عليه ويتحلوا به. وهكذا كان العلماء من السلف رضي الله عنهم؛ فهذا الإمام مالك رضي الله عنه كان إذا أراد أن يُحدِّث تنظف وتطيب، وسرح لحيته، ولبس أحسن الثياب، وقد ألقى الله عليهالوقار حتى قيل فيه:

يَـدَعُ الجـوابَ ولا يُراجَـع هيبـةً ... والـسائلـون نـواكسُ الأذقـانِ

نـور الوقـار وعـز سـلطان التقـى ... فهـو المهيـب ولـيس ذا سـلطان

وهكذا أوصى ابن مسعود رضي الله عنه أهل القرآن فقال: «ينبغي لحامل القرآن أن يكون

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة: (٦١٠)، ومسلم: (٦٠٢).

باكيًا محزونًا، حكيمًا حليمًا سكينًا، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافيًا ولا غافلاً ولا ضحايًا، ولا صياحًا ولا حديدًا».

وقال الحسن رضي الله عنه: قد كان الرجل يطلب العلم يطلب العلم فلا يلبث أن يُرى ذلك في تخشيه، وهديه ولسانه، وبصره، وبره.

إن القلب إن كان حيًّا وكان بالوجه حياء حمل صاحبه على الوقار، فيوقر غيره ويتوقر هو في نفسه. وعلى قدر توقير العبد وتعظيمه لربه يكون توقير الخلق له. فمن عظّم الله ووقّره زرع الله له المحبة والتوقير في قلوب الخلق.

ومن استهان بحق الله تعالى وضعف في قلبه توقير الرب، فتجرأ على معاصيه وحدوده وضيع أوامره وفرائضه، فإن الله لا يلقي له في قلوب الناس وقارًا ولا هيبة، وإن وقَّره بعض الخلق اتقاء شره فذاك وقار بغض لا وقار حبٍّ ولا تعظيم.

ومن أخلاق العالم أن يكون طليق الوجه، حليما صابرا، ملازما للورع والتواضع والوقار، وأن يتجنب ما يذهب المروءة ويزيل الهيبة؛ مثل كثرة الضحك والمزاح، وأن يحافظ على مظهره الخارجي، ويهتم بنظافة جسمه، ويستعمل الطيب، ويحسن من هندامه وملابسه، ويهتم بتمشيط شعره، فقد قال النبي ﷺ: **«إن الله جميل يحب الجمال»**[1].

وقال الآجري في كتابه «أخلاق العلماء» عن صفة مشي العلماء: (ذكر صفته في مشيه إلى العلماء، يمشي برفق وحلم، ووقار، وأدب، مكتسب في مشيه كل خير، تارة يحب الوحدة، فيكون للقرآن تاليا، وتارة بالذكر مشغولا، وتارة يحدث نفسه بنعم الله عز وجل عليه، ويقتضي منها الشكر، يستعيذ بالله من شر سمعه، وبصره، ولسانه، ونفسه، وشيطانه، فإن بلي بمصاحبة الناس في طريقه، لم يصاحب إلا من يعود عليه نفعه، قد أقام الأصحاب مقام ثلاثة: إما رجل يتعلم منه خيرا، إن كان أعلم منه. أو رجل هو مثله في العلم، فيذاكره العلم لئلا ينسى ما لا ينبغي أن ينساه. أو رجل هو

(١) رواه مسلم عن ابن مسعود: (٩٢).

أعلم منه فيعلمه، يريد الله عز وجل بتعليمه إياه. لا يمل من أصحابه لكثرة صحبة، بل يحب ذلك لما يعود عليه من بركته، قد شغل نفسه بهذه الخصال، خائف على نفسه أن يشتغل بغير الحق، قد أجمع الحذر من عدوه الشيطان، كراهية أن يزين له قبيح ما نهي عنه، يكثر الاستعاذة بالله من علم لا ينفع، ويسأله علما نافعا، همه في تلاوة كلام الله عز وجل الفهم عن الله فيما أمر ونهى، وفي حفظ السنن والآثار الفقه، لئلا يضيع ما أمر به، ولأن يتأدب بالعلم، طويل السكوت عما لا يعنيه، حتى يشتاق جليسه إلى حديثه، إن ازداد علما خاف من ثبات الحجة، فهو مشفق في علمه، كلما ازداد علما ازداد إشفاقا، إن فاته سماع علم قد سمعه غيره فحزن على فوته، لم يكن حزنه بغفلة حتى يواقف نفسه، ويحاسبها على الحزن، فيقول: لم حزنت؟ احذري يا نفس أن يكون الحزن عليك، لا لك، إذ سمعه غيرك، فلم تسمعيه أنت، فكان أولى بك أن تحزني على علم قد قرع السمع، وقد ثبتت عليك به الحجة فلم تعملي به، فكان حزنك على ذلك أولى من حزنك على علم لم تسمعيه، ولعلك لو قدر لك سماعه كانت الحجة عليك أوكد، فاستغفر الله من حزنه، وسأل مولاه الكريم أن ينفعه بما قد سمع)[1].

وقال النووي في كتابه «التبيان»: «ومن آدابه المتأكدة وما يعتنى به أن يصون يديه في حال الإقراء عن العبث وعينيه عن تفريق نظرهما من غير حاجة ويقعد على طهارة مستقبل القبلة ويجلس بوقار وتكون ثيابه بيضا نظيفة وإذا وصل إلى موضع جلوسه صلى ركعتين قبل الجلوس سواء كان الموضع مسجدا أو غيره فإن كان مسجدا كان آكد فيه فإنه يكره الجلوس فيه قبل أن يصلي ركعتين ويجلس متربعا إن شاء أو غير متربع روى أبو بكر بن أبي داود السجستاني بإسناده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان يقرئ الناس في المسجد جاثيا على ركبتيه»[2].

---

(١) أخلاق العاماء: (٣٨).

(٢) التبيان: (٢٦).

٢- حسن الخلق.

حامل القرآن قدوة لغيره، والناس لا يعنيهم من العالم وحافظ القرآن علمه ولا عبادته بقدر ما يعنيهم أخلاقه وسلوكه، فإذا كان حافظا أو تاليا لكتاب الله وهو يخالف بسلوكه وأخلاقه ما يحفظه ويقرؤه، فهو يصد عن سبيل الله من حيث لا يدري، لأن الانفصال بين القول والعمل يضع الناس في حيرة وفتنة، لأنهم يوقنون أن أثر القرآن لابد أن ينضح على أخلاق صاحبه فيزكيه ويرقيه ويهذبه، ويجعله بين الناس مميزا بأخلاق العالية وصفاته الطيبة.

فإذا وعد الناس بوعد وفَّى لهم بوعده، وإذا قال مخبرا عن أمر صدق فيما يقول وإذا ائتمنه الناس على أمانة حفظها لهم وأداها ولم يأكلها أو ينكرها، ولا يغتاب أحدا ولا يعيبه، ويظهر ورعه عن الشبهات وعفته عن المال الحرام، ويبر والديه ويوقر معلمه، وإن كان متزوجا ويعاشر زوجته بالمعروف، ويحسن تربية أبنائه ويقوم على تحفظيهم لكتاب الله وتأديبهم بأخلاق القرآن ووصاياه.

يقول أبو بكر الآجري في كتاب «أخلاق العلماء» عن أخلاق العالم ومعاشرته للناس:

«من كانت صفاته في علمه ما تقدم ذكرنا له من أخلاقه -والله أعلم- أن يأمن شره من خالطه، ويأمل خيره من صاحبه، لا يؤاخذ بالعثرات، ولا يشيع الذنوب عن غيره، ولا يقطع بالبلاغات، ولا يفشي سر من عاداه، ولا ينتصر منه بغير حق، ويعفو ويصفح عنه، ذليل للحق، عزيز عن الباطل، كاظم للغيظ عمن آذاه، شديد البغض لمن عصى مولاه، يجيب السفيه بالصمت عنه، والعالم بالقبول منه، لا مداهن، ولا مشاحن ولا مختال، ولا حسود، ولا حقود، ولا سفيه، ولا جاف، ولا فظ، ولا غليظ، ولا طعان، ولا لعان، ولا مغتاب، ولا سباب. يخالط من الإخوان من عاونه على طاعة ربه، ونهاه عما يكره مولاه، ويخالق بالجميل من لا يأمن شره، إبقاء على دينه، سليم القلب للعباد من الغل والحسد، يغلب على قلبه حسن الظن بالمؤمنين في كل ما أمكن فيه

العذر، لا يحب زوال النعم عن أحد من العباد، يداري جهل من عامله برفقه، إذا تعجب من جهل غيره ذكر أن جهله أكثر فيما بينه وبين ربه عز وجل، لا يتوقع له بائقة، ولا يخاف منه غائلة، الناس منه في راحة، ونفسه منه في جهد»[١].

٣- الورع.

ما هو الورع؟ هو اجتناب الشبهات خوفاً من الوقوع في المحرمات. [٢]. وقال العلامة محمد بن علان الصدِّيقي رضي الله عنها: (هو عند العلماء ترك ما لا بأس به حذراً مما به بأس)[٣].

ويقول القرطبي في باب / ما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ به نفسه: «وينبغي له أن يأخذ نفسه بالتصاون عن طرق الشبهات، ويقل الضحك والكلام في مجالس القرآن وغيرها مما لا فائدة فيه، ويأخذ نفسه بالحلم والوقار. وينبغي له أن يتواضع للفقراء، ويتجنب التكبر والإعجاب، ويتجافى عن الدنيا وأبنائها إن خاف على نفسه الفتنة، ويترك الجدال والمراء، ويأخذ نفسه بالرفق والأدب. وينبغي له أن يكون ممن يُؤْمَن شره، ويرجى خيره ويسلم من ضره، وألا يسمع ممن نَمَ عنده ويصاحب من يعاونه على الخير ويدله على الصدق ومكارم الأخلاق، ويزينه ولا يشينه»[٤].

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن الحلال بيِّن، وإن الحرام بيِّن، وبينهما أمور مشتبهات، لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهاتِ فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه»**[٥].

---

(١) أخلاق العلماء: (٤٤).

(٢) التعريفات للجرجاني: (١٧٠).

(٣) دليل الفالحين شرح رياض الصالحين: (٥/ ٢٦).

(٤) تفسير القرطبي: (١ / ١٨) باب ما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه به ولا يغفل عنه.

(٥) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان: (٥٢)، ومسلم في كتاب المساقاة: (١٥٩٩).

وقال رسول الله ﷺ للحسن بن عليّ رضي الله عنه: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، الصدق طمأنينة والكذب ريبة**»(١) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة وقال: حديث حسن صحيح، عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطَّلع عليه الناس**»(٢). حاك: أي جال وتردد.

وذكر ابن القيم في مدارج السالكين أقوالا لبعض سلف الأمة منهم سفيان الثوري رضي الله عنهما حيث قال: (ما رأيت أسهل من الورع، ما حاك في نفسك فاتركه).

وقد دخل الحسن البصري رضي الله عنهما مكة فرأى غلاماً من أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد أسند ظهره إلى الكعبة يعظ الناس، فوقف عليه الحسن وقال: (ما ملاك الدين؟ فقال: الورع، قال: فما آفة الدين؟ قال: الطمع. فتعجب الحسن منه، وقال: مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة)(٣). مما سبق يتضح أن الورع صفة جامعة لكل خصال الكمال.

وليس أدلَّ على منزلة الورع، وأنه أرقى أنواع العبادة من وصية رسول الله ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه حيث قال: «**يا أبا هريرة كن ورعاً تكن أعبدَ الناس**»(٤). ولأهمية الورع، ورفعة منزلته، وعلو شأنه، وعظيم أثره، أشار إليه الرسول ﷺ في أحاديث كثيرة، منها :

١- عن عطية بن عروة السعدي الصحابي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين، حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس**»(٥).

---

(١) رواه أحمد عن الحسن بن علي: (٢٧٨١٩)، والترمذي: (٢٥١٨)، والدارمي: (٢٥٣٢).

(٢) رواه مسلم عن النواس بن سمعان في كتاب البر والصلة: (٢٥٥٥).

(٣) مدارج السالكين لابن القيم: (٢/ ٢١).

(٤) رواه ابن ماجة عن أبي هريرة في كتاب الزهد ـ باب الورع والتقوى ـ بإسناد حسن: (٤٢١٧).

(٥) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة وقال: حديث حسن غريب: (٢٤٥١)، وابن ماجه: (٤٢١٥).

٢- عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ وجد تمرة في الطريق فقال: «**لولا أني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها**»(١).

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ الحسن بن علي رضي الله عنه تمرة من تمر الصدقة، فجعلها في فيه. فقال النبي ﷺ: «**كخْ كخْ، ارمِ بها، أما علمت أنَّا لا نأكل الصدقة، أو أنَّا لا تحل لنا الصدقة**»(٢). وحُمِلَ إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مسك من الغنائم، فقبض على مشامِّه وقال: (إنما يُنتفعُ من هذا بريحه، وأنا أكره أن أجد ريحه دون المسلمين).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: (اشتريت إبلاً، وسقتها إلى الحمى، فلما سمنت ؛ قدمت بها، فدخل عمر رضي الله عنه السوق فرأى إبلاً سِماناً.

فقال: لمن هذه؟ فقيل: لعبد الله بن عمر.

فجعل يقول: يا عبد الله! بخ بخ... ابنَ أمير المؤمنين وقال: ما هذه الإبل؟!

قلت: إبل أنضاء «هزيلة» اشتريتها وبعثت بها إلى الحمى أبتغي ما يبتغي المسلمون.

فقال: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين! يا عبد الله بن عمر خذ رأس مالك، واجعل الربح في بيت مال المسلمين)(٣).

قال خزيمة بن ثابت رضي الله عنه: (كان عمر رضي الله عنه إذا استعمل عاملاً كتب له عهداً وأشهد عليه رهطاً، واشترط أن لا يركب برذوناً ولا يأكل نقياً، ولا يلبس رقيقاً، ولا يغلق بابه دون ذوي الحاجات، فإن فعل شيئاً من ذلك حلت عليه العقوبة) (٤). وحُكي عن بشر الحافي رضي الله عنه أنه حُمل إلى دعوة، فوُضع بين يديه طعام، فجهد أن يمد يده إليه، فلم تمتد، ثم جهد فلم تمتد ثلاث مرات، فقال رجل ممن كان يعرفه: (إن يده لا تمتد إلى طعام حرام، أو

---

(١) رواه البخاري عن أنس في كتاب الزكاة: (٢٤٣١)، ومسلم في كتاب الزكاة: (٧٩٤).

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة في كتاب الزكاة: (٣٠٧٢)، ومسلم في كتاب الزكاة: (١٠٧١).

(٣) الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري: (٢/ ٤٧).

(٤) البداية والنهاية لابن كثير: (٧/ ٣٤).

فيه شبهة، ما كان أغنى صاحب هذه الدعوة أن يدعو هذا الرجل إلى بيته).

وهذا وهب بن منبه يقول لعطاء الخراساني: «كان العلماء قبلنا استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم، فكانوا لا يلتفتون إلى دنياهم، فكان أهل الدنيا يبذلون لهم دنياهم، رغبة في علمهم، فأصبح أهل العلم منا اليوم يبذلون لأهل الدنيا علمهم، رغبة في دنياهم، فأصبح أهل الدنيا قد زهدوا في علمهم، لما رأوا من سوء موضعه عندهم، فإياك وأبواب السلاطين، فإن عند أبوابهم فتنا كمبارك الإبل، لا تصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينك مثله»، قال محمد بن الحسين: فإذا كان يخاف على العلماء في ذلك الزمان، أن تفتنهم الدنيا، فما ظنك في زمننا هذا؟ (١).

فالناس يرون حامل القرآن قدوة لهم وإماما، فإذا تساهل في شأن الحلال والحرام، وتجرأ على حرمات الله، ولم يحفظ نفسه من زلل المعاصي ونجاسة الخطايا، وأصبح همه الأوحد هو السعي للمال وجمعه من حله ومن غير حله، فهنا لا يرى الناس فرقا بين حامل القرآن وغيره، حيث لم يغير القرآن من أخلاق صاحبه شيئا، ولم يهذب من طباعه خلقا، وفي هذا فتنة أيُّ فتنة !!!

٤- لا يجهر بالتلاوة على الآخرين وقطع القراءة عند التثاؤب والنوم.

من آداب التلاوة ألا يجهر شخصٌ على شخصٍ بالقراءة فيرفع صوته، ولذلك قال ﷺ: **«ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن»**(٢)؛ لئلا يكون ذلك سبيلاً إلى التشويش والأذى.

وذكر النووي تفصيلا مهما للتفضيل بين الجهر والإسرار بالقراءة فقال :

(فصل) في رفع الصوت بالقراءة هذا فصل مهم ينبغي أن يعتنى به اعلم أنه جاء أحاديث كثيرة في الصحيح وغيره دالة على استحباب رفع الصوت بالقراءة وجاءت آثار دالة على استحباب الإخفاء وخفض الصوت وسنذكر منها طرفا يسيرا إشارة إلى

(١) أخلاق العلماء: (٨٢).

(٢) رواه مالك في الموطأ: (٢٢٥)، وأحمد في المسند: (١٨٥٤٢).

اصلها إن شاء الله تعالى. قال الإمام أبو حامد الغزالي وغيره من العلماء وطريق الجمع بين الأحاديث والآثار المختلفة في هذا أن الإسرار أبعد من الرياء فهو أفضل في حق من يخاف ذلك فإن لم يخف الرياء فالجهر ورفع الصوت أفضل لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته تتعدى إلى غيره والمتعدي أفضل من اللازم ولأنه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه إلى الفكر فيه ويصرف سمعه إليه ويطرد النوم ويزيد في النشاط ويوقظ غيره من نائم وغافل وينشطه قالوا فمهما حضره شئ من هذه النيات فالجهر أفضل فإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر قال الغزالي ولهذا قلنا القراءة في المصحف أفضل فهذا حكم المسألة وأما الآثار المنقولة فكثيرة وأنا أشير إلى أطراف من بعضها ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما أذن الله لشئ ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به**» رواه البخاري ومسلم ومعنى أذن استمع وهو إشارة إلى الرضا والقبول وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود**» رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية لمسلم أن رسول الله ﷺ: قال له لقد رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة ورواه مسلم من رواية بريد بن الخصيب وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لله أشد أذنا إلى الرجل حسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته**» رواه ابن ماجه.

وعن أبي موسى رضي الله عنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالليل حين يدخلون وأعرف مازلهم كل من أصواتهم بالقرآن بالليل وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار**» رواه البخاري ومسلم. وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**زينوا القرآن بأصواتكم**» رواه أبو داود والنسائي وغيرهما.

وروى ابن أبي داود عن علي رضي الله عنه أنه سمع ضجة ناس في المسجد يقرؤون القرآن فقال طوبى لهؤلاء كانوا أحب الناس لرسول الله ﷺ. وفي إثبات الجهر أحاديث

كثيرة وأما الآثار عن الصحابة والتابعين من أقوالهم وأفعالهم فأكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر وهذا كله فيمن لا يخاف رياء ولا إعجابا ولا نحوهما من القبائح ولا يؤذي جماعة يلبس عليهم صلاتهم ويخلطها عليهم وقد نقل عن جماعة السلف اختيار الإخفاء لخوفهم مما ذكرناه فعن الأعمش قال دخلت على إبراهيم وهو يقرأ بالمصحف فاستأذن عليه رجل فغطاه وقال لا يرى هذا أني أقرأ كل ساعة وعن أبي العالية قال كنت جالسا مع أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم فقال رجل منهم: قرأت الليلة كذا، فقالوا: هذا حظك منه.

ويستدل لهؤلاء بحديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة»** رواه أبو داود والترمذي والنسائي قال الترمذي حديث حسن. قال: ومعناه أن الذي يسر بقراءة القرآن أفضل من الذي يجهر بها لأن صدقة السر أفضل عند أهل العلم من صدقة العلانية، قال: وإنما معنى هذا الحديث عند أهل العلم لكي يأمن الرجل من العجب لأن الذي يسر بالعمل لا يخاف عليه من العجب كما يخاف عليه من علانيته، قلت: وكل هذا موافق لما تقدم تقريره في أول الفصل من التفصيل، وأنه إن خاف بسبب الجهر شيئا مما يكره لم يجهر، وإن لم يخف استحب الجهر، فإن كانت القراءة من جماعة مجتمعين تأكد استحباب الجهر لما قدمناه ولما يحصل فيه من نفع غيرهم والله أعلم أ. هـ[1].

والجمع بين هذين النوعين أن القارئ إذا خاف الرياء، أو السمعة أو يتأذَّى مصلون أو نيام بجهره، أو خاف إعجاباً، أو يلبِّس على من يقرأ أو غير ذلك من أنواع القبائح فالإسرار بالقراءة والإخفاء بها أفضل.

أما من لم يخفْ شيئاً من ذلك فالجهر بالقراءة له أفضل، ويستحب له ذلك ؛ لأن العمل في الجهر أكثر؛ ولأن فائدته تتعدَّى للسامعين ؛ ولأنه يوقظ قلب القارئ، ويجمع همه

(١) التبيان: (٥٩ – ٦٢).

إلى الفكر، ويصرف سمعه إلى التدبر، ويطرد النوم ويزيد في النشاط، ويطرد الشيطان، فإن كانت القراءة بحضور من يستمع إليه، تأكد استحباب الجهر كما سبق بيانه.

ويدل على هذا الجمع عبد الله بن أبي قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن عائشة رَحِمَهَا اللَّهُ أنه سألها في حديث طويل، وفيه أنه سألها عن قراءة النبي ﷺ فقال :... فقلت: كيف كانت قراءته: أكان يسر بالقراءة أم يجهر؟ قالت: كل ذلك قد كان يفعل، قد كان ربما أسر، وربما جهر، قال فقلت: الحمد لله الذي جعل في الأمر سعةً[١].

ومن آداب التلاوة أنه إذا نعس كف عن القراءة، فقد روى أحمد ومسلم وغيرهما، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدرِ ما يقول فليضطجع**»[٢]. أي: يذهب وينام حتى لا يخلط القرآن بغيره، أو تلتبس عليه الآيات، فيُقدم ويُؤخر، أو يهذي ويذكر حروفاً ليست فيه.. ونحو ذلك مما يفعله النعسان، فإذا نعس فعليه أن يذهب وينام.

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في قراءة الليل: (٤٤٩)، وفي كتاب ثواب القرآن، باب ما جاء كيف كانت قراءة النبي: (٢٩٢٤)، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب في وتر النبي: (١٤٣٧)، والنسائي، صلاة الليل، باب كيف القراءة بالليل: (١٦٦٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: 1/395، وفي صحيح سنن الترمذي، (٣/ ١٦٨)، وفي غيرهما. وانظر: أحاديث في الباب: صحيح سنن أبي داود، برقم (١٣٢٧- ١٣٣٣).

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة: (٧٨٩)، وأحمد في المسند: (٢٧٤٥٠).

الفصل الرابع
آداب صاحب القرآن في المسجد

١- توسيع المجلس.

سعة المجلس بركة على المعلم والمتعلم، فالمعلم يستطيع رؤية المتعلمين ويعطيهم حظه من النظر والمتابعة والعناية، كما أن التربية بالنظر فيها أدب للمتعلم أوقع من التربية باللفظ والكلام المجرد، والمتعلم ياخذ حظه من النظر إلى معلمه فيتلقى عنه سماعا ورؤية في آن واحد بغير واسطة، لهذا مدح القرآن السعة في المجالس ورغب فيها حيث يقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ [المجادلة: ١١]. قال القرطبي في تفسيرها:

«به الأمر بتحسين الأدب في مجالسة رسول الله ﷺ، حتى لا يضيقوا عليه المجلس، وأمر المسلمين بالتعاطف والتآلف حتى يفسح بعضهم لبعض، حتى يتمكنوا من الاستماع من رسول الله ﷺ والنظر إليه. قال قتادة ومجاهد: كانوا يتنافسون في مجلس النبي ﷺ، فأمروا أن يفسح بعضهم لبعض. وقاله الضحاك.... وقال مقاتل: كان النبي ﷺ في الصفة، وكان في المكان ضيق يوم الجمعة، وكان النبي ﷺ يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء أناس من أهل بدر فيهم ثابت بن قيس بن شماس وقد سبقوا في المجلس، فقاموا حيال النبي ﷺ على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم، فشق ذلك على النبي ﷺ، فقال لمن حوله من غير أهل بدر: (قم يا فلان وأنت يا فلان) بعدد القائمين من أهل بدر، فشق ذلك على من أقيم، وعرف النبي ﷺ الكراهية في وجوههم، فغمز المنافقون وتكلموا بأن قالوا: ما أنصف هؤلاء وقد أحبوا القرب من نبيهم فسبقوا إلى المكان، فأنزل الله عز وجل هذه الآية. «تفسحوا» أي توسعوا. وفسح فلان لأخيه في مجلسه يفسح فسحا أي وسع له»[1].

---

(١) تفسير القرطبي: (١٧ / ١٩٢).

وقال النسفي: «والمراد مجلس رسول الله ﷺ، وكانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه، وحرصا على استماع كلامه»(١).

وروى أبو داود وأحمد والحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خير المجالس أوسعها**»(٢).

قال النووي في «التبيان»: «وينبغي أن يكون مجلسه واسعا ليتمكن جلساؤه فيه ففي الحديث عن النبي ﷺ: «**خير المجالس أوسعها**» رواه أبو داود في سننه في أوائل كتاب الآداب بإسناد صحيح من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في آداب المتعلم»(٣).

٢- استحباب الاجتماع على القراءة.

ومما يتعلق كذلك بآداب التلاوة الاجتماع لتلاوته، كما قال النبي ﷺ: «**وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**»(٤).

(يتلون كتاب الله ويتدارسونه): أي يتعاهدونه خوف النسيان. فالاجتماع لتلاوة القرآن ومدارسته من السنن والمستحبات العظيمة، ولا يعني قوله: (يتلون كتاب الله) أي: يتلونه بصوت واحد، كما لا يعني قوله: (يتلون كتاب الله) أي: كل واحد يقرأ وراء الآخر مقطع مقطع، كما يفعل كثيرٌ من الناس، لأنه قد ثبت عن الصحابة رضوان الله عليهم، أنهم كانوا إذا جلسوا أمروا واحداً منهم أن يقرأ ويستمع الباقون.

عن معاوية رضي الله عنه: أن الرسول ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: «ما

---

(١) تفسير النسفي: (٣/ ٤٤٩).

(٢) رواه أحمد عن أبي سعيد الخدري: (١١٢٦٦)، وأبو داود: (٤٨٢٠)، والحاكم: (٤ / ٢٦٩).

(٣) التبيان: ٢٦.

(٤) رواه مسلم عن أبي هريرة: (٢٦٩٩).

يجلسكم؟» فقالوا: جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا الإسلام، ومنّ به علينا، قال: **«آلله ما اجلسكم إلا ذاك؟»** قالوا: آلله ما اجلسنا إلا ذاك، فقال: **«أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم غير أنه أتاني جبريل ﷺ فأخبرني أن الله تعالى يباهي بكم الملائكة»**[(١)].

الاجتماع علي الطاعة مما يحبه الله ويرضاه لهذه الأمة، والقرآن مأدبة الله في أرضه وفيه العلم والنور والحكمة، ومدارسة القرآن لاستنباط معانيه والوقوف علي أسراره ومراميه من أجَلِّ وأعظم القربات، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله لهذه الغاية إلا فازوا بهذه الجوائز الأربع التي أخبر بها الحديث، والجُهد علي القرآن له ميادين أربعة :

* ميدان اللفظ: وذلك بإحكام التلاوة والتجويد وإقامة حروفه وحدوده.
* ميدان المعني: وهذا للعلماء فليس لأحد أن يفسر القرآن بالرأي والهوى.
* ميدان العمل: وهذا المقصود الأعظم من التلاوة ألا وهو العمل بما فيه.
* ميدان البلاغ والدعوة: وهذا يؤكده حديث النبي ﷺ: **«بلغوا عني ولو آية»**[(٢)].

والارتباط بالقرآن تلاوة وتدارسا وتعلما وتعليما يرفع العبد المؤمن إلي أعلي الدرجات، فليس بعد كلام الله كلام ولا يوازيه كلام في بلاغته ونوره وعطائه وبركاته، ومن انشغل بالقرآن وذكر الله أعطاه الله أفضل ما يعطي عباده المؤمنين، ففضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه.

علينا أن نُنِير قلوبنا وبيوتنا بأنوار القرآن، وأن نعلمه لأولادنا وأهلينا، ونتشبه بالصحابة الكرام الذين كانوا يسمعون الوحي من النبي ﷺ غضا طريا ثم ينقلبون إلي بيوتهم يبلغون أهليهم بما سمعوه، فرزقهم الله بذلك بركة القرآن وسكينة القرآن.

أما طريقة الإدارة في التلاوة أي: أن يقرأ كل واحد مقطع ثم يقرأ الآخر فهذه

---

(١) رواه مسلم عن معاوية: (٢٧٠٣).

(٢) رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو: (٢٣٧٤).

طريقةٌ مكروهة، وبعضهم يقول: مبتدعة إلا في مقام التعليم، أي: التعليم عند شيخ يأمر شخصاً أن يقرأ ثم يأمر الآخر.. وهكذا.. الثالث والرابع في التحفيظ مثلاً يسمع الأول ثم الثاني ثم الثالث، لكن إذا اجتمعوا مجموعة في المسجد أو في غيره، ما هي السنة؟ أمروا واحداً منهم أن يقرأ، مثل أن يكون أنداهم صوتاً، أو أفضلهم قراءةً، والباقون يستمعون.

وقال النووي في «التبيان / فصل في الإدارة بالقرآن»: «وهو أن يجتمع جماعة يقرأ بعضهم عشرا أو جزءا أو غير ذلك ثم يسكت ويقرأ الأخر من حيث انتهى الأول ثم يقرأ الآخر وهذا جائز حسن وقد سئل مالك رضي الله عنه فقال لا بأس به»(١).

بل يستحب طلب القراءة من حسن الصوت، قال النووي: «في استحباب طلب القراءة الطيبة من حسن الصوت اعلم أن جماعات من السلف كانوا يطلبون من أصحاب القراءة بالأصوات الحسنة أن يقرؤوا وهم يستمعون وهذا متفق على استحبابه وهو عادة الأخيار والمتعبدين وعباد الله الصالحين وهى سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ: فقد صح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال لي رسول الله ﷺ: **«اقرأ علي القرآن»** فقلت يا رسول الله: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: **«إني أحب أن أسمعه من غيري»**، فقرأت عليه سورة النساء حتى إذا جئت إلى هذه الآية: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا** ﴾ قال: حسبك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان. رواه البخاري ومسلم.

وروى الدارمي وغيره بأسانيدهم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول لأبي موسى الأشعري ذكرنا ربنا فيقرأ عنده القرآن والآثار في هذا كثيرة معروفة وقد مات جماعات من الصالحين بسبب قراءة من سألوه القراءة والله أعلم. وقد استحب العلماء أن يستفتح مجلس حديث النبي ﷺ ويختم بقراءة قارئ حسن الصوت ما تيسر من

---

(١) التبيان: (٥٩).

القرآن ثم إنه ينبغي للقارئ في هذه المواطن أن يقرأ ما يليق بالمجلس ويناسبه وأن تكون قراءته في آيات الرجاء والخوف والمواعظ والتزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة والتأهيب لها وقصر الأمل ومكارم الأخلاق»[١] أ.هـ.

٣- القراءة في الصلاة.

قراءة القرآن في الصلاة واجبة خاصة التأكيد على فاتحة الكتاب حيث لا تصح الصلاة بغيرها، وهذا متفق عليه بين العلماء في صلاة المنفرد، ولكنهم اختلفوا في شأن المأموم في صلاة الجماعة، فيرى بعضهم كأبي حنيفة بعدم قراءة المأموم خلف الإمام للفاتحة أو غيرها، ويرى جمهور الفقهاء بوجوب قراءة الفاتحة للمأموم خلف الإمام على تفصيل في الصلاة الجهرية والسرية.

قال النووي في «التبيان»: «منها أنه يجب القراءة في الصلاة المفروضة بإجماع العلماء، ثم قال مالك والشافعي وأحمد وجماهير العلماء تتعين قراءة الفاتحة في كل ركعة، وقال أبو حنيفة وجماعة لا تتعين الفاتحة أبدا، قال ولا تجب قراءة الفاتحة في الركعتين الأخيرتين. والصواب الأول، فقد تظاهرت عليها الأدلة من السنة ويكفي من ذلك قوله ﷺ في الحديث الصحيح: ولا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن. وأجمعوا على استحباب قراءة السورة بعد الفاتحة في ركعتي الصبح والأولتين من باقي الصلوات، واختلفوا في استحبابها في الثالثة والرابعة، وللشافعي فيها قولان: الجديد أنها لا تستحب، والقديم أنها تستحب.

قال أصحابنا وإذا قلنا إنها تستحب فلا خلاف أنه يستحب أن يكون أقل من القراءة في الأولتين، قالوا وتكون القراءة في الثالثة والرابعة منه سواء، وهل تطول الأولى على الثانية؟ فيها وجهان: أصحهما عند جمهور أصحابنا أنها لا تطول، والثاني وهو الصحيح عند المحققين أنها تطول وهو المختار للحديث الصحيح أن رسول الله

---

(١) التبيان: (٦٣ – ٦٤).

ﷺ: كان يطول في الأولى ما لا يطول في الثانية. وفائدته أن يدرك المتأخر الركعة الأولى والله أعلم.

قال الشافعي رضي الله عنه: وإذا أدرك المسبوق مع الإمام الركعتين الأخيرتين من الظهر وغيرها ثم قام إلى الإتيان بما بقي عليه استحب أن يقرأ السورة، قال الجماهير من أصحابنا: هذا على القولين، وقال بعضهم هذا على قوله يقرأ السورة في الأخيرتين أما على الآخر فلا، والصواب الأول لئلا تخلو صلاته من سورة والله أعلم.

هذا حكم الإمام المنفرد، أما المأموم فإن كانت صلاته سرية وجبت عليه الفاتحة واستحب له السورة، وإن كانت جهرية فإن كان يسمع قراءة الإمام كره له قراءة السورة، وفي وجوب الفاتحة قولان:

١ - أصحهما تجب، ٢ - والثاني لا تجب.

وإن كان لا يسمع القراءة فالصحيح وجوب الفاتحة، واستحباب السورة وقيل تجب ولا تستحب السورة والله أعلم.

وتجب قراءة الفاتحة في الركعة الأولى من صلاة الجنازة، وأما قراءة الفاتحة في صلاة النافلة فلا بد منها... والعاجز عن الفاتحة في هذا كله يأتي ببدلها فيقرأ بقدرها من غيرها من القرآن، فإن لم يحسن أتى بقدرها من الأذكار كالتسبيح والتهليل ونحوهما، فإن لم يحسن شيئا وقف بقدر القراءة والله أعلم.

لا بأس بالجمع بين سورتين في ركعة واحدة، فقد ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرن بينهن، فذكر عشرين سورة من المفصل كل سورتين في ركعة، وقد قدمنا عن جماعة من السلف قراءة الختمة في ركعة واحدة أ.هـ[1].

---

(١) التبيان: (٦٩).

٤- كيف يفتح على الإمام في صلاة الجماعة.

يقول النووي: «إذا أرتج على القارئ ولم يدر ما بعد الموضع الذي انتهى إليه فسأل عنه غيره فينبغي أن يتأدب بما جاء عن عبد الله بن مسعود وإبراهيم النخعي وبشير بن أبي مسعود رضي الله عنهم قالوا إذا سأل أحدكم أخاه عن آية فليقرأ ما قبلها ثم يسكت ولا يقول كيف كذا وكذا فإنه يلبس عليه»(١).

جمهور أهل العلم رحمهم الله يرون استحباب الفتح على الإمام وتلقينه إذا ارتج عليه أو أخطأ في صلاة الفرض أوالنفل، من الصحابة عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وابن عمر رضي الله عنهم. ومن التابعين عطاء بن أبي رباح والحسن وابن سيرين ونافع بن جبير. ومن الأئمة المقتدى بهم مالك والشافعي وأحمد(٢).

وقال الشوكاني: «أن الفتح على الإمام بالآية التى نسيها، وبالتسبيح اذا وقع منه السهو فى الأركان سنة ثابتة، وشريعة مقدرة، فالقول بأنه من المفسدات للصلاة باطل... انتهى»(٣). وهذا تفصيل لقول المذاهب:

* قال الحنفية: إذا توقف الإمام فى القراءة أو تردد فيها، قبل أن ينتقل الى آية أخرى، جاز للمأموم أن يفتح عليه أى يرده للصواب، وينوى الفتح على إمامه دون القراءة على الصحيح ؛ لأنه مرخص فيه، أما القراءة خلف الإمام فهى ممنوعة مكروهة تحريماً. فلو كان الإمام انتقل الى آية اخرى، تفسد صلاة الفاتح، وتفسد صلاة الإمام لو أخذ بقوله، لوجود التلقين والتلقن من غير ضرورة.

وينبغى للمقتدى ألا يعجل الإمام بالفتح، ويكره له المبادرة بالفتح، كما يكره للإمام أن يلجىء المأموم إليه، بل يركع حين الحرج إذا جاء أوان التردد في القراءة أو

---

(١) التبيان: (٨٤).

(٢) المغني لابن قدامة: (١/ ٣٩١)، المجموع للنووي: (٤/ ٢٤٠)، المقنع: (٣/ ٦٢٢).

(٣) السيل الجرار: (٢/ ٢٤٢)، نيل الأوطار: (٢/ ٣٢٨- ٣٢٩).

ينتقل الى آية اخرى[١].

* وقال المالكية: تبطل الصلاة بالفتح على غير الإمام سواء من المصلى أو من غيره، بأن سمعه يقرأ، فتوقف في القراءة، فأرشده للصواب ؛ لأنه من باب المكالمة، أما الفتح على الإمام إذا وقف وتردد فى القراءة، ولو فى غير الفاتحة فجائز لا يبطل الصلاة، بل هو واجب، فإن وقف ولم يتردد كره الفتح عليه[٢].

* وقال الشافعية: الفتح على الإمام: هو تلقين الآية عند التوقف فيها.و يفتح عليه إذا سكت، ولا يفتح عليه مادام يردد التلاوة وسؤال الرحمة والاستعاذة من عذاب، لقراءة آيتهما. والفتح في حالة السكون لا يقطع في الأصح موالاة قراءة المأموم، أما فى حالة التردد فيقطع موالاة قراءته، ويلزمه استئناف القراءة.

ولابد لمن يفتح على إمامه أن يقصد القراءة وحدها أو يقصدها مع الفتح.

فإن قصد الفتح وحده، أو لم يقصد شيئاً أصلاً، بطلت صلاته على المعتمد. أما الفتح على غير إمامه فيقطع موالاة القراءة[٣].

* وقال الحنابلة: للمصلى أن يفتح على إمامه إذا ارتج عليه (منع من القراءة) أو غلط فى قراءته، فرضاً كانت الصلاة أو نفلاً. ويجب الفتح على إمامه إذا أرتج عليه أو غلط فى الفاتحة، لتوقف صحة صلاته على ذلك، كما يجب تنبيهه عند نسيان سجدة ونحوها من الأركان.وإن عجز المصلى عن إتمام الفاتحة بالإرتاج عليه، فكالعاجز عن القيام أثناء الصلاة، يأتى بما يقدر عليه، ويسقط عنه ما عجز عنه، ولا يعيدها.

وقال ابن قدامة في «المغنى»: «والصحيح أنه إذا لم يقدر على قراءة الفاتحة أن صلاته تفسد ؛ لأنه قادر على الصلاة بقراءتها، فلم تصح صلاته بدون ذلك، لعموم قوله ﷺ: **«لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»**، ويكره للمصلي الفتح على من هو في صلاة

---

(١) فتح القدير: (١/ ٨٣) وما بعدها، الدر المختار: (١/ ٥٨١) وما بعدها.

(٢) الشرح الكبير (١/ ٣٤٧).

(٣) مغني المحتاج (١/ ١٥٨).

أخرى، أو على من ليس في صلاة ؛ لأن ذلك يشغله عن صلاته، ولا تبطل صلاته، وقد قال النبى ﷺ: **«إن في الصلاة لشغلاً»**(١).

استدل المستحبون للفتح على الإمام وتلقينه إذا ارتج عليه أو أخطأ بالآتي:

١. بما رواه أبوداود بسنده عن المُسَوِّر بن يزيد المالكي- من بني مالك وهي قبيلة من قبائل العرب رضي الله عنه قال: شهدتُ رسول الله ﷺ يقرأ في الصلاة فترك شيئاً لم يقرأه، فقال له رجل: يا رسول الله تركت آية كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: **«هلا ذكرتنيها»**(٢).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ صلى صلاة فقرأ فيها فلبّس عليه، فلما انصرف قال لأبي: **«أصليتَ معنا؟»** قال: نعم ؛ قال: **«فما منعك؟»**(٣) .

قال ابن قدامة: قال الخطابي: وإسناده جيد.

٢. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: تردد رسول الله ﷺ في القراءة في صلاة الصبح، فلم يفتحوا عليه، فلما قضى الصلاة نظر في وجوه القوم، فقال: **«ما شهد الصلاة معكم أبي بن كعب؟»** قالوا: لا؛ فرأى القوم أنه إنما تفقده ليفتح عليه. قال ابن قدامة: رواه الأثرم.

٣. قال الحسن البصري: إن أهل الكوفة يقولون: لا تفتح على الإمام، وما بأس به، أليس يقول: سبحان الله؟ يعني إذا سها الإمام يقال له سبحان الله.

٤. ومن ذلك قول أنس رضي الله عنه: كنا نفتح على الأئمة على عهد رسول الله ﷺ(٤).

---

(١) المغنى: (٢/ ٥٦-٦٠). وانظر: كشاف القناع (١/ ٤٤٢).

(٢) وأبو داود في الصلاة، باب: الفتح على الإمام فى الصلاة رقم: (٩٠٧).

(٣) رواه أبو داود في الصلاة / باب الفتح على الإمام في الصلاة رقم: (٩٠٧)، (١/ ٢٣٨ – ٢٣٩).

(٤) أخرجه الحاكم: (١/ ٢٧٦)، ومن طريقه البيهقى: (٣/ ٢١٢) من حديث عبد الله بن بزيع، ثنا حميد، عن أنس به قال الحاكم: يحيى بن غيلان، وعبد الله بن بزيع ثقتان، هذا حديث صحيح ولم يخرجاه، وقال الذهبى: صحيح. وهو كما قالا، رحمهما الله تعالى.

٥. وعن علي رضي الله عنه قال: إذا استطعمك الإمام فأطعمه[١].

فثبت بذلك مشروعية ورجحان الفتح على الإمام في الصلاة إذا ارتج عليه أوأخطأ سواء كانت الصلاة فرضاً أونفلاً.

*** حكم الفتح على الإمام في الصلاة :**

بعد أن استحب العامة من أهل العلم الفتح على الإمام في الصلاة، فصَّلوا في حكم هذا الفتح في الفاتحة وغيرها.

أ) في الفاتحة :

الفتح على الإمام في الصلاة واجب، لأن قراءة الفاتحة واجبة في كل ركعة، لقوله ﷺ: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»[٢] متفق عليه، إذا ارتج عليه أوأخطأ بتقديم أوتأخير آية.

قال ابن قدامة: (وإذا ارتج على الإمام في الفاتحة لزم مَنْ وراءه الفتح عليه كما لو نسي سجدة لزمهم تنبيهه بالتسبيح، فإن عجز عن إتمام الفاتحة فله أن يستخلف من يصلي بهم، لأنه عذر، فجاز أن يستخلف من أجله، كما لو سبقه الحدث، وكذلك لو عجز في أثناء الصلاة عن ركن يمنع عن الائتمام، كالركوع أوالسجود، فإنه يستخلف من يتم بهم الصلاة، كمن سبقه الحدث، بل هذا أولى بالاستخلاف، لأن من سبقه الحدث قد بطلت صلاته، وهذا صلاته صحيحة، فكان بالاستخلاف أولى، وإذا لم يقدر على إتمام الفاتحة فقال ابن عقيل: يأتي بما يحسن، ويسقط عنه ما عجز عنه وتصح

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة فى الصلاة،باب: من رخص فى الفتح على الإمام: (١/ ٤١٧/ ٢٧٩٤)، والبيهقى: (٣/ ٢١٣) من حديث أبى عبد الرحمن السلمى عنه وسنده صحيح غاية. ورواه عبد الرزاق فى المصنف: (٢/ ١٤٣/ ١٨٣١) عن الثورى، عن عبد الأعلى، عن السلمى قال: اذا استطعمكم الإمام فأطعموه، يقول: إذا تعايا فردوا عليه.

(٢) رواه البخاري عن عبادة بن الصامت: (٧٥٦)، ومسلم: (٣٩٤).

صلاته، لأن القراءة ركن عَجَزَ عنه في أثناء الصلاة فسقط، كالقيام.

فأما المأموم فإن كان أمياً عاجزاً عن قراءة الفاتحة صحت صلاته أيضاً، وإن كان قارئاً نوى مفارقته وأتم وحده، ولا يصح له إتمام الصلاة خلفه، لأن هذا صار حكمه حكم الأمي، والصحيح أنه إذا لم يقدر على قراءة الفاتحة أن صلاته تفسد، لأنه قادر على الصلاة بقراءتها، فلم تصح صلاته بدون ذلك) (١).

لهذا ينبغي أن يلي الإمام أولي الأحلام والنهى، كما أمر بذلك رسول الله ﷺ، حتى إذا استخلف الإمام أحدهم تمكن من إتمام الصلاة.

ب) في غير الفاتحة:

في غير الفاتحة الفتح والتلقين ليس واجباً، ما لم يخطئ الإمام خطأ يغيِّر المعنى.

أما إذا وقف وقوفاً يدل على رغبته في أن يُطعَم، كما قال عليٌّ رضي الله عنه، فيُستحب أن يُطعَم، أي يُلقن ويُفتح عليه.

*** من يتولى الفتح على الإمام؟**

يتولى الفتح والتلقين على الإمام في الصلاة من يليه من المصلين، ولا ينبغي لمن كان بعيداً ولو عن يمين الصف الأول أو يساره أن يفتح، لأنه غالباً لا يُسمع الإمام. إذا تخطى الإمام آية أوآيات وتعداها لما بعدها لا يفتح عليه، لأن الفتح في هذه الحال قد يؤدي إلى ارتباك الإمام.

---

(١) المغني لابن قدامة: (٢/ ٥٦).

الفصل الخامس
آداب صاحب القرآن مع المتعلمين

١- الرفق واللين.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: ضمني رسول الله ﷺ إلى صدره وقال: «**اللهم علمه الحكمة**» وقال: «**وعلمه الكتاب**»(١)، فكان حبر هذه الأمة وترجمان القرآن ومن أعرف الناس بلغة العرب، لأن اللغة هي المدخل لفهم القرآن الكريم ومعرفة أوامره ونواهيه وما فيه من حلال وحرام وناسخ ومنسوخ ومجمل ومفصل.

والمربي المسلم ليس من أخلاقه التكبر والتعالي على الناس قال تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة رجل في قلبه مثقال ذرة من كبر**»(٢).

ولقد كان من لين وتواضع ابن مسعود رضي الله عنه أن تلاميذه يفدون إليه في أي وقت ولم يكن يمنعهم من سؤاله ومراجعته في ذلك، فعن عبد الله بن معقل بن مقرن قال دخلت مع أبي على عبد الله بن مسعود فقال: (أنت سمعت النبي ﷺ يقول: الندم توبة قال: نعم)(٣).

وروى البخاري وأحمد والبغوي في شرح السنة عن أبي وائل قال: غدونا على عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ذات يوم بعد صلاة الغداة فسلمنا بالباب فأذن لنا فقال رجل من القوم قرأت المفصل البارحة كله في ركعة. فقال: هذا كهذ الشعر !!! إنا قد سمعنا

---

(١) رواه البخاري عن ابن عباس: (٣٧٥٦)

(٢) رواه مسلم عن ابن مسعود: (٩٢)، وأحمد (٣٧٣٩) واللفظ له.

(٣) رواه أحمد عن ابن مسعود: (٣٥٥٨).

القراءة وإني لأحفظ القرائن التي كان يقرأ بهن رسول الله ﷺ ثماني عشرة سورة من المفصل وسورتين من آل حم)[١].

وروى مسلم عن عياض بن حمار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد**»[٢].

ومن المعلوم أن التواضع من الأخلاق الإسلامية التي حث عليه الشرع وامتدح المتصفين بها وأن أفضل من تحلى بهذه السمة هم العلماء وطلبة العلم امتثالا لأمر الله وأمر رسوله فقد، وصف الله رسوله ﷺ بقوله تعالى: ﴿ **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الفتح: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿ **وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

فالتواضع خلق يجعل المربي المسلم قريبا من تلاميذه وأتباعه ويسهل عليهم الوصول إليه ومخاطبته بما يجول في صدورهم من التساؤلات. فعن زاذان قال: دخلت على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقد سبق إلى مجلسه أصحاب الخز والديباج فقلت: أدنيت الناس وأقصيتني؟ فقال لي: ادن فأدناني حتى أقعدني على بساطه[٣].

وهذه نصيحة أحد العلماء المربين من السلف الصالح وهو الآجري رضي الله عنه إذ يقول: (إذا نشر الله له الذكر عند المؤمنين -أي العالم- أنه من أهل العلم واحتاج الناس إلى ما عنده من العلم وألزم نفسه التواضع للعالم وغير العالم، فأما تواضعه لمن هو مثله في العلم فإنها محبة تنبت له في قلوبهم فأحبوا قربه وإذا غاب عنهم حنت إليه قلوبهم، وأما تواضعه للعلماء فواجب عليه إذا أراد العلم، وأما تواضعه لمن هو دونه في العلم، فشرف العلم له عند الله وعند أولي الألباب)[٤].

---

(١) رواه البخاري: (٧٧٥)، والبغوي في شرح السنة: (٩١٣)، وأحمد في المسند واللفظ له: (٣٩٨٩).

(٢) رواه مسلم عن عياض بن حمار: (٢٨٦٥).

(٣) رواه الطبراني في الكبير باب الظاء.

(٤) أخلاق العلماء: (٣٩).

إن المعلم يجب عليه أن يتواضع مع الطالب وكل مسترشد سائل إذا قام بما يجب عليه.. ويخفض له جناحه ويلين له جانبه، قال الله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

ويجب الابتعاد كل البعد عن الحقد والحسد والإعجاب بالنفس. ويحرم على العالم أن يغتر بثناء الناس عليه؛ وإنما يتواضع وينشغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره. وهناك فارق كبير بين التواضع وبين التبذل من أجل المال؛ فالعالم عزيز النفس وإن كان ذا مال قليل، ومن تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر وضعه الله.

وقال الإمام مالك رضي الله عنه لهارون الرشيد: «أدركت أهل العلم يؤتون ولا يأتون، ومنكم خرج العلم وأنتم أولى الناس بإعظامه، ومن إعظامكم له ألا تدعوا حملته إلى أبوابكم»(١). ويقول أبو يوسف صاحب أبي حنيفة: «يا قوم، أريدوا بعلمكم الله ؛ فإني لم أجلس مجلسا قط أنوي فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم، ولم أجلس مجلسا قط أنوي فيه أن أعلوهم إلا لم أقم حتى أفتضح»(٢).

ولا يستنكف العلماء عن التعلم ممن هو دونهم في المنزلة أو السن أو العقل، وإنما لهم في كل شيء عظة وعبرة وفكرة.. قال سعيد بن جبير رضي الله عنه: «لا يزال الرجل عالما لما تعلم، فإذا ترك العلم وظن أنه قد استغنى واكتفى بما عنده فهو أجهل ما يكون»(٣).

وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم العلماء إلى التعلم ممن هو نظير، وممن ليس بنظير، وألا يمنع الكبر أو الحياء من التعلم ممن هو أقل في المنزلة، فجاء إلى أبي بن كعب رضي الله عنه وقال: «**أمرني الله أن أقرأ عليك: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾**»، قال: وسماني، قال:

---

(١) فيض القدير للمناوي: (ج٣)/ حرف التاء حديث رقم: (٣٣٨١)، وانظر المقاصد الحسنة للسخاوي رقم: (٧٠٧) وعزاه إلى القاضي عياض في ترجمة مالك من المدارك (ص٢٨٩).

(٢) فيض القدير للمناوي: (ج٣)/ حرف التاء حديث رقم: (٣٣٨١).

(٣) تذكرة السامع والمتكلم: (٢٨).

«نعم»، فبكى[١].

وليس من المعقول أن النبي ﷺ قرأ على أبيّ ليزداد حفظا وإتقانا، وإنما المقصود هو تعليم الأمة بطريق القدوة.

وما خبر سماع سليمان ﷺ من الهدهد ببعيد: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢]. وهذا يفيد انشغال العالم الراسخ فيما ينفع نفسه وأهله وأمته، بل ما ينفع البشرية من علوم، فلا ينفك يستزيد من العلم ويتعمق فيه لتكون مساهماته أوقع وأنفع.

٢- الإحسان.

النفس البشرية لا تنهض إلى أمر إلا إذا رأت فيه مصلحة ومنفعة، وإذا رأت تشجيعا وتحفيزا وترغيبا سارعت إلى العمل مدفوعة بهمة عالية وعزيمة صادقة، والنفس مجبولة على حب من أحسن إليهاوبغض من أساء إليها، والثناء وكلمات التشجيع تفجر الطاقات الكامنة في النفس البشرية ويخرج منها العجائب التي يمتد نفعها لقرون وأجيال عديدة.

كم من كلمة تشجيع قيلت لطالب علم أو فتى في ريعان الشباب فكانت سببا لخير عظيم عاد عليه وعلى أمته، وكم من العلماء كانت هذه بدايتهم: تشجيع ومؤازرة وثناء، وكان هذا شان نبينا ﷺ خاصة مع الشباب الصغار الذين أفسح لهم المجال حتى في قيادة الجيوش وهي مهمة صعبة تحتاج إلى خبرة وحنكة، ولكن. ألم يكن أسامة بن زيد رضي الله عنه أميرا على جيش جهزه النبي ﷺ قبل وفاته إلى الروم، وكان تحت إمرة أسامة رضي الله عنه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما؟؟!!!

الإمام مالك إمام دار الهجرة عممته أمه بيدها وهو صغير، وقالت له: اذهب

---

(١) رواه البخاري عن أنس: (٤٩٥٩)، ومسلم: (٨٠١)، والترمذي: (٣٧٩٢)، والنسائي: (١١٦٢٧).

فتعلم من ربيعة أدبه قبل علمه، ثم صار بع ذلك الإمام مالك الذي تمشي بعلمه الركبان في المشارق والمغارب.

وهذا ابن مسعود رضي الله عنه يمارس هذا المنهج في التربية مع طلاب العلم من تلاميذه وجلسائه، فعن علقمة قال: كنا جلوسا مع ابن مسعود فجاء خباب فقال: يا أبا عبد الرحمن أيستطيع هؤلاء الشباب أن يقرأوا كما تقرأ. قال ابن مسعود: أما إنك لو شئت أمرت بعضهم يقرأ عليك. قال: أجل. قال اقرأ يا علقمة. فقال: زيد بن حدير- أحد تلاميذه - أخو زياد بن حدير: أتأمر علقمة أن يقرأ وليس بأقرئنا. قال: أما إنك إن شئت أخبرتك بما قال النبي صلى الله عليه وسلم في قومك وقومه. فقرأت خمسين آية من سورة مريم. فقال: عبد الله كيف ترى؟ قال: قد أحسن. قال: عبد الله: ما أقرأ شيئا إلا وهو يقرؤه، ثم التفت إلى خباب وعليه خاتم من ذهب فقال: ألم يأن لهذا الخاتم أن يُلقى. قال: أما إنك لن تراه عليّ بعد اليوم فألقاه(١).

يقول النووي في كتابه «التبيان»: «وينبغي له أن يرفق بمن يقرأ عليه وأن يرحب به ويحسن إليه بحسب حاله فقد روينا عن أبي هرون العبدي قال كنا نأتي أبا سعيد الخدري رضي الله عنه فيقول: مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«إن الناس لكم تبع وإن رجالا يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا»** رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهما وروينا نحوه في مسند الدارمي عن أبي الدرداء رضي الله عنه » أ.هـ. (٢).

وقال أيضًا في باب النصيحة: «وينبغي أن يبذل لهم النصيحة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«الدين النصيحة، لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»** رواه مسلم. ومن النصيحة لله تعالى ولكتابه إكرام قارئه وطالبه وإرشاده إلى مصلحته والرفق به،

---

(١) رواه البخاري في كتاب المغازي والسير / باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن: (٤١٣٠).

(٢) التبيان: (٢٣).

ومساعدته على طلبه بما أمكن، وتأليف قلب الطالب، وأن يكون سمحا بتعليمه في رفق، متلطفا به ومحرضا له على التعلم.

وينبغي أن يذكره فضيلة ذلك ليكون سببا في نشاطه وزيادة في رغبته، ويزهده في الدنيا، ويصرفه عن الركون إليها والاغترار بها، ويذكره فضيلة الاشتغال بالقرآن وسائر العلوم الشرعية، وهو طريق العارفين وعباد الله الصالحين وأن ذلك رتبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وينبغي أن يشفق على الطالب ويعتني بمصالحه كاعتنائه بمصالح ولده ومصالح نفسه، ويجري المتعلم مجرى ولده في الشفقة عليه والصبر على جفائه وسوء أدبه، ويعذره في قلة أدبه في بعض الأحيان فإن الإنسان، معرض للنقائص لا سيما إن كان صغير السن.

وينبغي أن يحب له ما يحب لنفسه من الخير، وأن يكره له ما يكره لنفسه من النقص مطلقا، فقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: (قال أكرم الناس عليّ جليسي الذي يتخطى الناس حتى يجلس إليّ، لو استطعت أن لا يقع الذباب على وجهه لفعلت. وفي رواية: إن الذباب ليقع عليه فيؤذيني. وينبغي أن لا يتعاظم على المتعلمين بل يلين لهم ويتواضع معهم) أ.هـ[1].

٣- لا يمتنع عن تعليم أحد.

لقد كان من أخلاق الصحابة رضي الله عنهم الفاضلة حسن استقبال المتعلم والابتسامة في وجهه والبشاشة له، ولا غرابة فلقد ورثوا هذا الخلق من قدوتهم رسول الله ﷺ،

---

(١) التبيان: (٢٣ – ٢٥).

فعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «ما حجبني النبي ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم في وجهي»(١).

إن قيم التربية من سنة نبينا المصطفى ﷺ تغنينا حقا عما سواها من القيم الوضعية المستوردة من ثقافات غربية أو شرقية، ففي القيم الإسلامية ما يصلح العالم والمتعلم، وإذا كانت التجربة في التربية الحديثة تنادي بالعناية بالمتعلم والأخذ بيده وتركيز العملية التعليمية عليه وتعد ذلك من أهم مبتكراتها، فإن التربية الإسلامية منذ يومها الأول في دار الأرقم ابن أبي الأرقم جعلت الفرد محور اهتمامها، فقامت بتربيته وتوجهه وتقويمه حتى بلغت به درجة الكمال البشري المستطاع، وهذا ما يجعلنا نفخر ونشرف بما وضعته من قيم ومبادئ وأسس تعطي المتعلم حقه في التعليم والتقويم والتهذيب، فالأدب قبل العلم.

وهذا مشهد من مشاهد السيرة يصفه أحد الصحابة رضي الله عنهم وهو صفوان بن عسال رضي الله عنه فيقول: أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد متكئ على برد له أحمر، فقلت له: يا رسول الله إني جئت أطلب العلم، فقال: **«مرحباً بطالب العلم إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها ثم يركب بعضهم بعضا حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب»**(٢).

فكان صفوان يفعل ذلك مع من يأتيه يطلب العلم ويسمع الحديث ويبشره بما بشره به من قبل رسول الله ﷺ.

وهذا أبو الدرداء رضي الله عنه عالم الشام ورائد التربية بها يقول عنه قيس بن كثير: «قدم رجل من المدينة إلى أبي الدرداء رضي الله عنه وهو بدمشق، فقال: ما أقدمك إلىّ أخي؟ قال: حديث بلغني أنك تحدث به عن النبي ﷺ. قال: أما قدمت لتجارة؟ قال: لا قال: ما

---

(١) رواه مسلم عن جرير بن عبد الله: (٢٤٧٧)، وأحمد: (١٨٦٩٠).

(٢) رواه الطبراني في الكبير حرف الصاد: (٧٣٤٧).

قدمت إلا في طلب هذا الحديث؟ قال: نعم. قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من سلك طريقا يطلب فيه علماً سلك الله به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم» ...»**[١].

وعلى هذا درج الصحابة ومن بعدهم من علماء الإسلام على قبول وصية رسول الله ﷺ بالترحيب بالمتعلمين وإكرامهم وإعانتهم أدبياً ومادياً على الاستمرار في طلبهم للعلم.

إن تشجيع طالب العلم وامتداحه بما فيه من نبوغ وعزيمة واكتشاف مواهبه وقدراته من مسؤوليات المعلم، فهذا رسول الله ﷺ يمتدح أبا هريرة رضي الله عنه عندما جاء يسأله عن مسألة، روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل يا رسول الله: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: **«لقد ظننت** -يا أبا هريرة- **أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله، خالصا من قلبه، أو نفسه»**[٢].

وكان من هديه ﷺ الممازحة والمداعبة لأنها تقرب القلوب وخاصة صغار التلاميذ فعن محمود بن الربيع رضي الله عنه -من صغار الصحابة- قال: «عقلتُ من النبي ﷺ مجّة مجها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلو»[٣]. فهذا من رحمته ﷺ ولين جانبه والناظر إلى أثر هذه المداعبة في نفس هذا الصبي كانت من أعظم الآثار التي عقلها من رسول الله ﷺ.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (ينبغي لحامل القرآن أن يكون عليما حكيما

---

(١) رواه الترمذي في أبواب العلم: (٢٨٢٣).

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة في كتاب العلم: (٩٩).

(٣) رواه البخاري عن محمود بن الربيع في كتاب العلم: (٧٧).

مستكيناً).

ولا يعنى ذلك أن يفقد المعلم الهيبة والوقار بكثرة مزاحه بل عليه أن يدرك أن ذلك منوط بموقف التربية الذي يهدف إلى تحقيقه، بل إن من سمات المعلم المسلم الوقار والهيبة وأن يجله تلاميذه لعلمه وورعه ومنزلته، فهذا الأوزاعي رضي الله عنه يقول: (كنا نضحك ونمزح فلما صرنا يقتدي بنا خشيت ألا يسعنا التبسم) (١).

وقال علي رضي الله عنه: (لا تخلطوا العلم بالضحك فتمجه القلوب) (٢).

ومن أخلاق العلماء الراسخين: ألا يحبسوا العلم وإنما يبذلونه لأهله، ويعلمونه لمن صدقت نيته في تعلمه، ويحرصون على إحياء العلم بالعمل به، والبحث عن الأبناء الصالحين الصادقين في طلب العلم لوجه الله تعالى فيهتمون بأمر تعليمهم ؛ لكي ييسروا لهم النبوغ في العلم مع العمل، ويخوفونهم من الجرأة على الفتوى ؛ فإنها من علامات الجهلة والمتسرعين.

٤- الصبر.

طاقات النفس في الفهم والإدراك متفاوته، والذكاء والقدرة على الفهم والتحصيل تختلف من إنسان لآخر، ومن هنا وجب على المعلم أن يصبر على من يعلمهم، ويراعي هذا التفاوت الفطري في نفوس البشر، ولا يضجر ولا يسخط ولا يغضب إذا استعصى الفهم على طالب علم فسأل عما لا يفهمه، وهذه كانت أخلاق المربي الأعظم والمعلم الأرشد، نبي الأمة وإمامها وقائدها وقدوتها ومربيها ومعلمها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي: (٧/ ١٣٢).

(٢) كنز العمال في باب آداب العلم متفرقة عن عليّ بن أبي طالب بلفظ قريب: (٢٩٥٢٥).

روي البخاري والترمذي وهذا لفظه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «دخل أعرابي المسجد والنبي ﷺ جالس فصلى فلما فرغ قال: اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا، فالتفت إليه النبي ﷺ فقال: **«لقد تحجرت واسعا»**، فلم يلبث أن بال في المسجد فأسرع إليه الناس فقال النبي ﷺ: **«أهريقوا عليه سجلا من ماء أو دلوا من ماء»** ثم قال: **«إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»**[١].

نبينا ﷺ خير معلم وخير مرب وهو قدوة لمن بعده في الرفق والرحمة بالناس، فالعقول والأفهام متفاوتة، ولا يتأتي تعليم إلا بصبر المعلم ورفقه علي من يعلمه، ولا سيما الشباب، فالشاب في امتحان شديد في مقتبل حياته وهو يشق الطريق وسط فتن وأعباء تحتاج في من حوله أن يفهموه ويوفروا له أسباب العلم ليتحصن به في حصن منيع، كما أن لغة العقل والحوار هي التي يجب أن تسود وأن تحكم العلاقة بين المعلم والمتعلم.

روي أحمد بإسناد جيد عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن فتى شابا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه، فزجروه، قالوا: مه مه، فقال: **«ادنه»**، فدنا منه قريبا، قال: فجلس، قال: **«أتحبه لأمك؟»**، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: **«ولا الناس يحبونه لأمهاتهم»**، قال: **«أفتحبه لابنتك؟»**، قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: **«ولا الناس يحبونه لبناتهم»**، قال: **«أفتحبه لأختك؟»**، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: **«ولا الناس يحبونه لأخواتهم»**، قال: **«أفتحبه لعمتك؟»** قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: **«ولا الناس يحبونه لعماتهم»**، قال: **«أفتحبه لخالتك؟»**، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: **«ولا الناس يحبونه لخالاتهم»**، قال: فوضع يده عليه، وقال: **«اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه»**، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[٢]. هذا هو معلم البشرية وهذا هو القدوة

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة: (٥٦٦٤)، والترمذي واللفظ له: (١٤٧).

(٢) رواه أحمد عن أبي أمامة: (٢١٧٠٧).

لكل معلم وهذا هو الرحمة المهداة ﷺ.

روى ابن أبي شيبة في مصنفه طرفا من أخبار ابن مسعود رضي الله عنه مع تلاميذه وصبره عليهم وتعليمهم أمور دينهم وقراءة القرآن ورواية أحاديث رسول الله ﷺ، ويستقبلهم على اختلاف أسنانهم فتجد في حلقته الابن وأباه يتعلمان من ابن مسعود رضي الله عنه وهو معهم منبسط السريرة مسرور الحال مشفق عليهم وعلى تربيتهم، كر في ذلك الآثار التالية: فعن أبي عبد الرحمن السلمي أحد تلاميذ ابن مسعود رضي الله عنه ومن روى عنه صفة الصلاة على النبي ﷺ قال: (كنا نتعلم التشهد كما نتعلم السورة من القرآن) وقال الأسود: رأيت علقمة يتعلم التشهد من عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كما يتعلم السورة من القرآن.

وعن إبراهيم قال: كانوا يحفظون هذا التشهد تشهد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ويتبعون حروفه حرفا حرفا.

وعن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن.

وعن عمير بن سعد النخعي قال أتيت ابن مسعود رضي الله عنه مع أبي فعلمنا هذا التشهد يعني تشهد عبد الله، وعن الضحاك عن ابن مسعود قال ما كنا نكتب في عهد رسول الله ﷺ من الأحاديث إلا الاستخارة والتشهد.

وعن الأسود قال كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يعلمنا التشهد في الصلاة كما يعلمنا السورة من القرآن يأخذ علينا الألف والواو[1].

---

(١) مصنف بن أبي شيبة الجزء الأول / كتاب الصلاة: باب من كان يعلم التشهد ويأمر بتعليمه.

٥- التدرج في تعليمهم.

من حكمة التشريع هي التدرج في التعليم حتى يأخذ بيد المؤنين درجة درجة، وخطوة خطوة ليرتقي بهم من عادات ألفوها وحياة عاشوها إلى أفق الطهر والكمال البشري الذي جاءت به الشريعة لتصنع منهم خير أمة أخرجت للناس.

وهذا مثال من حياة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حيث كان يتدرج مع تلاميذه في تعليمهم لكتاب الله والعمل به، وهذا الفهم أخذه من المعلم الأول رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث كان من طرقه في تعليم الصحابة الترقي بهم والتدرج معهم بحسب طاقتهم على العمل وقدرتهم على الطاعة، والحكمة من ذلك كله هو ألا يبغض لهم عبادة ربهم، بل يشوقهم ويرغبهم مع التدرج لينشطوا دون كلل أو ملل، وأيضا حتى لا يقفوا عن العمل وينقطعوا عن دينهم.

عن عبد الله بن مسعود وأبيّ رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئهم العشر، فلا يجاوزها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل فيعلمنا القرآن والعمل جميعا)(١).

ومن ذكاء المعلم وقوة نور بصيرته أن يراعي حال المتعلمين فلا يكلفهم ما لا يطيقون، ويدرك بفطرته وخبرته الطاقة التي يتحملون عندها تلقي العلم دون نفور ولا كراهية، وهذا مما يعينهم على الاستمرار والترقي دون عناء أو مشقة.

والملاحظ أن الشريعة الإسلامية راعت هذا المبدأ فكانت جميع أحكامها تنزل تدريجا وتأخذ بالناس من البسيط إلى الأمر العظيم وتراعي حالة الناس لتخرجهم من الجاهلية إلى الإسلام ومن البداوة إلى التحضر ومن الجهل إلى العلم ومن النفرة إلى الألفة ومن التشرذم القبلي إلى الوحدة الإسلامية العظمى، وهذا الأمر يتجلي بوضوح في تحريم الخمر، وكيف كانت تهيئة نفوس القوم للتحريم النهائي أمرا في غاية الرحمة والحكمة في آن واحد، وعندما جاء الأمر النهائي والصريح بالتحريم المؤبد لشرب

---

(١) تفسير القرطبي: (١ / ٣٠).

الخمر، كانوا قد تهيؤوا تماما لامتثال الأمر، فألقوا ما بيوتهم من أوعية الخمر، وقالوا: انتهينا ربنا. انتهينا ربنا.

ذكر البخاري رضي الله عنهما في صحيحه (باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا)، فقد كان من هدي السلف مراعاة أحوال وعقول السامعين فعن عبد الله بن عتبة أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة[١]. إن مراعاة قدرات السامع العقلية والبدنية والنفسية والنزول إلى مستوى فهمه وإدراكه ومخاطبته بما يعقل وخاصة في الأمور المجردة والقضايا الغيبية التي قد يصعب عليه فهمها أو تصورها ومما قد يجلب له التأويل الفاسد في القول أو العمل لهو غاية الحكمة في الدعوة إلى الله وفي تعليم الأحكام والحلال والحرام.

عن عَلِيّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله) [٢].

قال في فتح الباري: (بما يعرفون: أي يفهمون، وزاد آدم بن أبي إياس في كتاب العلم له عن عبد الله بن داود عن معروف في آخره: «ودعوا ما ينكرون» أي يشتبه عليهم فهمه، وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة، وممن كره التحديث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب..، وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب، والله أعلم)[٣].

وإن من دواعي نجاح المربين والدعاة مراعاة مشاعر وأحوال السامعين ومدى

---

(١) رواه مسلم عن ابن مسعود في باب النهي عن الحديث بكل ما سمع: (٥).

(٢) رواه البخاري عن علي بن أبي طالب في كتاب العلم: (١٢٧).

(٣) فتح الباري: (١/ ٤٢٤).

تعلقهم بدرسهم وإقبالهم إليه، حيث النفوس تمل من الإطالة وتأنس بالإيجاز وتكره التكرار والترديد، فالكلام ينسي بعضه بعضا، وإذا طال الحديث فإن يخره ينسي أوله ويمله السامع ويغلق قلبه وسمعه عن تلقي المزيد، ولذلك كان من حسن أساليب الإلقاء أن تترك المستمعين وهم في شوق إلى سماع حديثك.

فعن عروة عن عائشة رَحِمَهُ اللَّهُ: أن النبي ﷺ كان يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه (لوعده العاد) أي لو عد كلمات حديثه. (لأحصاه) لقدر على الإحاطة بعدده لقلة كلماته)[١].

ومن أقوال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إن للقلوب شهوة وإقبالاً، وإن للقلوب فترة وإدبارا. فاغتنموها عند شهوتها، ودعوها عند نفرتها وإدبارها)[٢]. ولهذا كان ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يحدث إلا يوم الخميس من كل أسبوع كما سبق ذكره.

٦- حكم الخلوة بالمرأة الأجنبية لتعليم القرآن :

لا ينبغي أن تكون المعصية طريقا لتحصيل علم أو القيام بطاعة لله، وهذا مما تتفق عليه الأمة ولا خلاف فيه بين أحد من علمائها، والخلوة بالمرأة الأجنبية لا تجوز حتى لو كانت الحجة هي تحفيظها للقرآن الكريم، وهذه المسألة الفقهية الشرعية يمكن تناولها من خلال النقاط التالية :

١- معنى الخلوة: هي انفراد رجل بامرأة يحل له نكاحها على وجه لا يحل.

٢- والخلوة بالمرأة الأجنبية حرام، لعموم قوله ﷺ: **«لا يخلو رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما»**[٣]. وقوله ﷺ: **«لا يخلون رجل بامرأة، ولا تسافرن امرأة وإلا معها**

(١) رواه البخاري عن عائشة: (٣٣٧٥)، ومسلم: (٢٤٩٣).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي: (١/ ٥١٩)، جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر: (١/ ١٠٤-١٠٦).

(٣) رواه الترمذي عن ابن عمر: (٢٢٥٤)، والحاكم في المستدرك: (٩٨).

محرم». فقام رجل فقال: يا رسول الله، اكتتبت في غزوة كذا وكذا، وخرجت امرأتي حاجة، قال: **«اذهب، فحج مع امرأتك»**[١].

٣-اتفق الفقهاء السابقون على تحريم الخلوة بالمرأة الجنبية استنادا لنصوص كثيرة منها ما سبق ذكره، واختلف الفقهاء المعاصرون في حكم الخلوة بالمرأة الأجنبية لتعليمها القرآن، فمنهم من قال بالتحريم -وهذا قول الكثيرين من العلماء المعتبرين- ومنهم من أجاز، وهذه أقوال العلماء في هذه المسألة مصحوبة بدليل كل فريق منهم

أ- الحرمة، وبهذا قال الحنابلة والشافعية وهو ظاهر كلام بقية الفقهاء الأقدمين[٢]، وفي توضيح مذهبهم يقول ابن القيم: «الوجه الحادي عشر: أنه ﷺ حرم الخلوة بالأجنبية ولو في اقراء القرآن والسفر بها في الحج وزيارة الوالدين سداً للذريعة ولما يحاذر من الفتنة وغلبات الطباع»[٣].

ب- أما بعض المعاصرين فيرى جواز الخلوة بالأجنبية لتعليمها القرآن، وذلك اعتماداً على أن الأصل عدم التهمة، وعلى أنه يعلمها أمر مشروع.

واستدل القائلون بالجواز بما يلي:

أ- عن جابر رضي الله عنه قال: شهدت العيد مع رسول الله ﷺ فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بلا أذان ولا إقامة ثم قام متوكئا على بلال فأمر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم، ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن، وقال: **«تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم»**، فقامت امرأة من وسط النساء سفعاء الخدين فقالت له: لماذا يا رسول الله؟ قال: **«لأنكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير»**. قال: فجعلن يتصدقن من حليهن يلقين في ثوب بلال من أقراطهن وخواتيمهن. رواه مسلم[٤]،

---

(١) رواه البخاري عن ابن عباس: (٢٨٤٤)، ومسلم: (١٣٤١).

(٢) وانظر مذاهبهم في إعلام الموقعين لابن القيم: (٢/ ١٥١)، وحاشية البجيرمي: (٣/ ٣٢٧).

(٣) إعلام الموقعين: (٢/ ١٥١).

(٤) مسلم عن جابر: (٨٨٥).

ورواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بلفظ آخر: خرج رسول الله ﷺ في أضحى، أو فطر، إلى المصلى، فمر على النساء، فقال: «**يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار**». فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: «**تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن**». قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: «**أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل**». قلن: بلى، قال: «**فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم**». قلن: بلى، قال: «**فذلك من نقصان دينها**»[1].

وفي الاستدلال من هذا الحديث يقول الشوكاني: الحديث يدل على عدة أحكام، منها مشروعية وعظ النساء وتعليمهن أحكام الإسلام وتذكيرهن بما يجب عليهن وحثهن على الصدقة وتخصيصهن بذلك في مجلس منفرد. ومحل ذلك كله اذا أمنت الفتنة والمفسدة.

٥- واستدل القائلون بالمنع بعموم الحديث آنف الذكر، ومن باب سد الذريعة، وأجابوا عن حديث جابر بأنه من خصائص النبي ﷺ جواز الخلوة بالأجنبية، لعصمته وليس هذا لغير النبي ﷺ.

*** الترجيح :**

الراجح هو قول جمهور الفقهاء بعدم جواز الخلوة بالمرأة الأجنبية لقوة أدلتهم، وسدا لباب الفتنة والغواية، حيث أمرت الشريعة بسد الذرائع.

٧- اختيار الوقت المناسب لهم :

إن اختيار الوقت المناسب لتعليم الناس أو دعوتهم من أهم ركائز التربية حيث تكون النفوس مهيأة للأخذ منه والانتفاع بما يستمعون من العلم، ولهذا كان السلف

---

(١) رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري: (٢٩٨)، ومسلم: (٧٩، ٨٠).

الصالح يتخيرون الوقت المناسب للتعليم والتوجيه والدعوة، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان ممن يتحين الأوقات التي تناسب حال الناس ومشاغلهم ولهذا لم يكن يكثر عليهم الدرس بل كان يتخولهم بالدرس والموعظة حتى لا يملوا، ولهذا كان له مجلسا أسبوعيا عاما لكل الناس يوم الخميس وهو في فعله هذا مستن بهدي رسول الله ﷺ.

عن أبي وائل قال: (كان عبد الله رضي الله عنه يذكر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، لوددت أنك ذكرتنا كل يوم؟ قال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم، وإني أتخولكم بالموعظة، كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها، مخافة السآمة علينا)[١].

لقد وصف مسروق علم ابن مسعود رضي الله عنه والعلماء من الصحابة فقال: (لقد جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذ، فالإخاذ يروي الرجل، والإخاذ يروي الرجلين، والإخاذ يروي العشرة، والإخاذ يروي المائة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم فوجدت عبد الله بن مسعود من ذلك الإخاذ)[٢]. وطبيعي أن يكون ابن مسعود رضي الله عنه من أكثر الصحابة ملازمة للرسول ﷺ وأخذا بسنته.

عن شقيق قال: كنا ننتظر عبد الله إذ جاء يزيد بن معاوية، فقلنا: ألا تجلس؟ قال: لا، ولكن أدخل فأخرج إليكم صاحبكم وإلا جئت أنا فجلست، فخرج عبد الله وهو آخذ بيده، فقام علينا فقال: أما إني أخبر بمكانكم، ولكنه يمنعني من الخروج إليكم: أن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة في الأيام، كراهية السآمة علينا[٣].

قال النووي تعليقا على الحديث السابق في باب / الاقتصاد في الموعظة: (أي يطلب حالاتهم وأوقات نشاطهم، وفي هذا الحديث الاقتصاد في الموعظة لئلا تملها القلوب فيفوت مقصودها)[٤].

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم عن ابن مسعود: (٦٨)، ومسلم في باب الاقتصاد في الموعظة: (٢٨٢١).

(٢) تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن: (١ / ٢٨).

(٣) رواه البخاري: (٦٠٤٨)، ومسلم: (٢٨٢١).

(٤) شرح النووي لصحيح مسلم: باب الاقتصاد في الموعظة: (٩/ ١٧٩).

وذكر عمرو بن ميمون فقال: (ما أخطأني ابن مسعود عشية خميس إلا أتيته فيه. قال: فما سمعته يقول بشيء قط قال رسول الله ﷺ فلما كان ذات عشية قال: قال رسول الله ﷺ قال: فنكس. قال فنظرت إليه فهو قائم محللة أزرار قميصه قد اغرورقت عيناه وانتفخت أوداجه. قال أو دون ذلك. أو فوق ذلك. أو قريبا من ذلك. أو شبيها بذلك)(١).

لقد كان من هدي أصحاب رسول ﷺ الاختصار والإيجاز وهذا ما اشتهر به ابن مسعود رضي الله عنه في خطبه ودرسه فقد ذكر ابن الجوزي ذلك من أساليب الوعظ والقصص فقال: (كان عبد الله رضي الله عنه يخطبنا كل خميس فيتكلم بكلام، فيسكت حين يسكت ونحن نشتهي أن يزيدنا)(٢). ومن وصايا ابن مسعود رضي الله عنه في مراعاة حالة المتلقي ما ذكره صاحب جامع بيان العلم وفضله إذ قال: «حدث القوم ما رمقوك بأبصارهم فإذا رأيت منهم فترة فانزع»(٣).

ومن أساليب الإلقاء مراعاة أحوال السامعين وتعلق أعينهم وعقولهم بالملقي وذلك دليل على رغبتهم في استماع وقبولهم للمتحدث، قال ابن مسعود رضي الله عنه: (حدث القوم ما أقبلت عليك قلوبهم فإذا انصرفت قلوبهم فلا تحدثهم. قيل له وما علامة ذلك؟ قال إذا أحدقوك بأبصارهم فإذا تثاءبوا واتكأ بعضهم على بعض فقد انصرفت قلوبهم فلا تحدثهم) (٤).

وعلى المربي المسلم أن ينوع في تدريسه وأن ينقل طلابه من روضة إلى روضة، ومن نهر دافق إلى ظل وارف، حتى لا يملوا حديثه بل ويستعذبون مورده ويطلبون

---

(١) رواه ابن ماجه في السنن باب التوقي في الحديث عن رسول الله ﷺ: (٢٣).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك عند باب ذكر مناقب عبد الله بن مسعود: (٩٧٦).

(٣) الآداب الشرعية لابن مفلح: (٢ / ١٠٠).

(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: (١ / ٥١٨).

المزيد منه فهم لا يملونه ولا يسأمونه، وهذا هو المنهج الرباني في الخطاب القرآني، فنزل منجماً على ثلاث وعشرين سنة ولم ينزل دفعه واحدة، وكان الرسول ﷺ والصحابة ينتظرون الوحي بشوق ولهفة، ويفرحون بنزوله ويتبارون في حفظه وفهمه وترتيله، وكذلك كان حالهم مع حديث الرسول ﷺ فهم إليه أسرع من الظمآن إلى الماء الزلال.

فلم يكن ﷺ يكثر من النصوص في المجلس الواحد بل كان ينجم حديثه على أصحابه، حتى إن عائشة أم المؤمنين رحمها الله كانت تعاتب أبا هريرة رضي الله عنه على سرده للحديث. فعن عروة بن الزبير عن عائشة رحمها الله قالت: ألا يعجبك أبو هريرة، جاء يجلس إلى جانب حجرتي، يحدث عن الرسول ﷺ يسمعني، وكنت أسبح، فقام قبل أن أقضي سبحتي، ولو أدركته لرددت عليه – إن الرسول ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم[1].

يقول ابن مفلح في كتابه الآداب الشرعية: «وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: حدث الناس كل جمعة مرة فإن أكثرت فمرتين، فإن أكثرت فثلاثا ولا تمل الناس من هذا القرآن ولا تأت القوم وهم في حديث فتقطع عليهم حديثهم، وقال: أنصت فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه، وإياك والسجع في الدعاء فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلونه. رواه البخاري. وعن عمر رضي الله عنه أنه كان يقول على المنبر: أيها الناس لا تبغضوا الله إلى عباده، فقيل كيف ذاك أصلحك الله قال يجلس أحدكم قاصا فيطول على الناس حتى يبغض إليهم ما هم فيه، ويقوم أحدكم إماما فيطول على الناس حتى يبغض إليهم ما هم فيه. وقالت رحمها الله لعبيد بن عمير إياك وإملال الناس وتقنيطهم وكان الزهري إذا سئل عن الحديث يقول أحمضوا أخلطوا الحديث بغيره حتى تنفتح النفس وقال الزهري نقل الصخر أيسر من تكرير الحديث.

---

(١) رواه البخاري عن عائشة في باب مناقب النبي ﷺ: (٣٣٧٥)، ومسلم: (٢٤٩٣).

قال ابن عبد البر كان يقال ستة إذا أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم: الذاهب إلى مائدة لم يدع إليها، وطالب الفضل من اللئام. والداخل بين اثنين في حديثهما من غير أن يدخلاه فيه، والمستخف بالسلطان، والجالس مجلسا ليس له بأهل، والمقبل بحديثه على من لا يسمع منه ولا يصغي إليه»(١).

ثم إن الإلقاء الممتع يجذب المتعلم ويؤثر فيه. وعلى المربي ألا يطيل الحديث ويطنب في الحواشي والشروح فيفسد اللب ويذهب بالأصل فيمله السامع أما معلم اليوم فإن حال القائل معه ليته سكت.

ولهذا يجب على المعلم أن يكون ذا معرفة تامة بحالة الطلاب ومدى إقبالهم، وعلامة إعراضهم عن تحصيل العلم لما اعتراهم من التعب، فحينها يجب على المربي أن يعطيهم وقتاً للراحة أو يصرفهم من مكان التعليم إلى حيث يروحون عن أنفسهم، فإن النفوس إذا كلَّت عميت.

ولهذا كان الخطيب البغدادي يرى كراهية التحديث لمن عارضه الكسل والفتور لأن حالته ليست مقبلة على التعلم فيقول: (حق الفائدة ألا تساق إلا إلى مبتغيها، ولا تعرض إلا على الراغب فيها فإذا رأى المحدث بعض الفتور من المستمع فليسكت فإن بعض الأدباء قال: نشاط القائل على قدر فهم المستمع) (٢).

وهذه بحق قاعدة تربوية يجب إدراكها (نشاط القائل على قدر فهم السامع) وكما قيل لكل مقام مقال.

وعدم رفع الصوت أكثر من الحاجة أو خفضه خفضا لا يجعل معه كمال الفائدة، بل يجب أن يكون صوته متوسطا بحيث لا يجاوز مجلسه، ولا يقصر عنه سماع الحاضرين.

---

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح: (٢ / ١٠٠).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: (١ / ٥١٨).

٨- هل الإجازة من الشيخ شرط للإفادة والإقراء؟

مما يتفق عليه الأئمة أن القرآن لا يؤخذ إلا بالتلقي مشافهة كما تواتر ذلك عن الأمة عبر القرون والأجيال، منذ عهد الرسالة وإلى يومنا هذا، ولكن السؤال: هل الإجازة من الشيخ شرط ليفيد القارئ غيره ويقرئه كما تعلم هو من شيخه، أم أن ذلك مستحب وليس على سبيل الحتم والوجوب؟ وماذا لو أجاز الشيخ طالبا عنده ثم تبين له فسقه وفجوره فهل له أن ينزع منه الإجازة التي أعطاه إياها؟ يقول الإمام السيوطي في كتابه «الإتقان»:

«الإجازة من الشيخ غير شرط في جواز التصدي للإقراء والإفادة، فمن علم من نفسه الأهلية جاز له ذلك وإن لم يجزه أحد، وعلى ذلك السلف الأولون والصدر الصالح، وكذلك في كل علم وفي الإقراء والإفتاء، خلافا لما يتوهمه الأغبياء من اعتقاد كونه شرطا، وإنما اصطلح الناس على الإجازة ؛ لأن أهلية الشخص لا يعلمها غالبا من يريد الأخذ عنه من المبتدئين ونحوهم، لقصور مقامهم عن ذلك.

والبحث عن الأهلية قبل الأخذ شرط، فجعلت الإجازة كالشهادة من الشيخ للمجاز بالأهلية» أ.هـ[١].

وقال الدكتور محمد بن فوزان في «إجازات القراء»: (إعدم وجود إجازة علمية عند شيخ من المشايخ ليست دليلا على هبوط مستواه العلمي، فما أكثر من ارتفعت سمعتهم العلمية وهم لم تُسعفهم الظروف لأخذ إجازات علمية من مشايخهم أو لم يذكر عنهم ذلك. وهي بذلك تشبه الشهادات العلمية المتخصصة في الوقت الحاضر، والتي لا يعني الحصول عليها أن حاملها لا يشق له غبار في تخصصه، لأنها أحيانا تكون غير دقيقة أو لا تمثل الواقع العلمي للشخص الحاصل عليها)[٢].

---

(١) الإتقان للسيوطي: (١/ ٢٨٩).

(٢) إجازات القراء: (٣٧ – ٣٨).

*** هل يجوز أخذ مال على الإجازة؟**

يجوز أخذ المال على الإجازة إذا لم يشترط المقرئ ذلك ولا يقدح ذلك في سندها.

وأما إن اشترط أخذ المال على الإجازة سواء كان قبل الإجازة أم بعدها، فقد نقل السيوطي الإجماع على عدم جواز ذلك فقال:

«ما اعتادهُ كثير من مشايخ القُراء من امتناعهم من الإجازة إلا بأخذ مالٍ في مقابلها لا يجوز إجماعًا، بل إن علم أهليته وجب عليه الإجازة أو عدمِها حرُم عليه، وليست الإجازة مما يقابل بالمال فلا يجوز أخذهُ عنها ولا الأجُرةُ عليها. وفي فتاوى الصدر موهوب الجزري من أصحابنا أنه سئل عن شيخ طلب من الطالب شيئاً على إجازته فهل للطالب رفعه إلى الحاكم وإجباره على الإجازة.

فأجاب : لا تجب الإجازة إلى الشيخ ولا يجوز أخذ الأجرة عليها.

وسئل أيضاً: عن رجل أجازه الشيخ بالإقراء ثم بان أنه لا دين له وخاف الشيخ ممن تفريطه فهل له النزول عن الإجازة فأجاب : لا تبطل الإجازة بكونه غير دين .

وأما أخذ الأجرة على التعليم فجائز، ففي البخاري إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله وقيل إن تعين عليه لم يجز واختاره الحليمي .

وقيل: لا يجوز مطلقاً وعليه أبوحنيفة لحديث أبي داود عن عبادة بن الصامت أنه علم رجلاً من هل الصفة القرآن فأهدى له قوساً فقال له النبي ﷺ: **«إن سرك أن تطوق بها طوقاً من نار فاقبلها»**. وأجاب من جوزه بأن في إسناده مقالاً وأنه تبرع بتعليمه فلم يستحق شيئاً ثم أهدى إليه على سبيل العوض فلم يجز له الأخذ بخلاف من يعقد معه إجازة قبل التعليم.

وفي البستان لأبي الليث: التعليم على ثلاثة أوجه .

أحدها: للحسبة ولا يأخذ به عوضاً.

والثاني: أن يعلم بالأجرة.

والثالث: أن يعلم بغير شرط فإذا أهدى إليه قبل. فالأول مأجور وعليه عمل الأنبياء، والثاني مختلف فيه والأرجح الجواز، والثالث يجوز إجماعاً لأن النبي ﷺ كان معلماً للخلق وكان يقبل الهدية» أ.هـ. (١).

ومن المعلوم أن ترفع العالم عن مخالطة السفهاء وطرقه لأبواب الناس للمسألة فيه مذلة للعالم وإهانة للعلم، وهذا مما يضعف من مكانته وهيبته وقدره عند الناس، فعن الضحاك بن مزاحم عن الأسود قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (لو أَن أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند أهله لسادوا بِهِ أهل زمانهم، ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا بِهِ من دنياهم فهانوا عليهم، سمعت نبيكم ﷺ يقول من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله همّ أخرته، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك) (٢).

(١) الإتقان للسيوطي: (١/ ٢٨٩-٢٩٠).

(٢) رواه ابن ماجه عن ابن مسعود: (٢٥٧).

الفصل السادس
آداب المتعلم

١- صحة النية.

طهارة الوعاء شرط في صلاحه لقبول ما يوضع فيه من طاهر، والقلوب هي الأوعية التي ستتلقى القرآن وهو كلام الله، فينبغي تطهيرها وتزكيتها قبل التقي والحفظ، وهذا من باب تهيئة المحل لما سيوضع فيه.

قال النووي في «التبيان»: «وينبغي أن يطهر قلبه من الأدناس ليصلح لقبول القرآن وحفظه واستثماره فقد صح عن رسول الله ﷺ: أنه قال: **«ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»** وقد أحسن القائل بقوله: يطيب القلب للعلم كما تطيب الأرض للزراعة»[1].

بعض المتعلمين يطلب العلم لينال به الشرف والمكانة والجاه والسلطان، أو يسعى لتحصيل السند مباهاة ومفاخرة على أقرانه، فهذا حظه من العلم أن يقال له يوم القيامة: **«كذبت إنما تعلمت ليقال عالم وقد قيل»**.

فسلطان العلم على القلوب أقوى وأعظم من سلطان القوة على النفوس، ومن هنا وجب الحذر عند الخوض في طلب العلم الشرعي بغير نية صحيحة، وإلا هلك صاحبه وأهلك من سيتعلمون منه إن صار يوما صاحب لسان وعلم وبيان.

٢- احترام المعلم.

صلى زيد بن ثابت رضي الله عنه على جنازة أمه، فلما فرغ منها قربت إليه بغلته ليركب، فأخذ ابن عباس رضي الله عنهما بركابه، فقال له: تنح يا ابن عم رسول الله ﷺ! فقال له:

---

(١) التبيان: (٢٧).

هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا، فقال زيد: أرني يدك، فأخرج يده، فقبلها، فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ[1]. هذا هو تواضع العالم وهذا أيضا هو أدب المتعلم، وتلك أخلاق الصحابة رضي الله عنهم.

ولنا قدوة في نبي الله موسي ﷺ كليم الله كيف كان أدبه مع العبد الصالح عندما سافر إليه سفرا بعيدا ليتعلم منه العلم؟ هذه هي أخلاق المتعلم :

١- تواضعه: عرض عليه بأدب ورفق أن يصحبه ليتعلم منه ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾، الذي يتعالى على من يعلمه أو يتعنت معه في السؤال لن يأخذ من العلم ذرة لأن العلم كله أدب وكله أخلاق وكله تربية وتزكية للنفس والجوارح.

٢- صبره: ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا ﴾، طلب العلم يحتاج إلي صبر، لن نفهم الدين كله في جلسة واحدة ولا في خطبة واحدة وإنما بالطلب الصادق والصبر يعلمنا الله ويفتح علينا، «إنما العلم بالتعلم وإنما الصبر بالتصبر».

٣- طاعته: ﴿ وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾، والإنسان عجول وفي طبعه العجلة، يريد كل شيء علي عجل، والعلم يحتاج إلي الصبر وتحمل المشقة والتأني.

يقول أبو بكر الآجري في كتابه «أخلاق العلماء»: صفة مجالسته للعلماء «فإذا أحب مجالسة العلماء جالسهم بأدب، وتواضع في نفسه، وخفض صوته عن صوتهم، وسألهم بخضوع، ويكون أكثر سؤاله عن علم ما تعبده الله به، ويخبرهم أنه فقير إلى علم ما يسأل عنه، فإذا استفاد منهم علما أعلمهم: أني قد أفدت خيرا كثيرا، ثم شكرهم على ذلك. وإن غضبوا عليه لم يغضب عليهم، ونظر إلى السبب الذي من أجله غضبوا عليه، فرجع عنه، واعتذر إليهم، لا يضجرهم في السؤال، رفيق في جميع أموره، لا يناظرهم مناظرة يريهم: أني أعلم منكم. وإنما همته البحث لطلب الفائدة منهم، مع حسن

(١) فيض القدير: (ج٢) / حديث رقم: (١٢٢٥) حرف الهمزة.

التلطف لهم، لا يجادل العلماء، ولا يماري السفهاء، يحسن التأني للعلماء مع توقيره لهم، حتى يتعلم ما يزداد به عند الله فهما في دينه»[١].

وتقديم النبي ﷺ أهل القرآن للإمامة في الصلاة دليل على تقديرهم وعلو منزلتهم، عن ابن مسعود الأنصاري البدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله تعالى**»[٢].

وقال النووي في «التبيان»: «وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط**» رواه أبو داود وهو حديث حسن. وعن عائشة رحمها الله قالت: «**أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم**» رواه أبو داود في سننه والبزار في مسنده قال الحاكم أبو عبد الله في علوم الحديث هو حديث صحيح.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ: كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد ثم يقول: «**أيهما أكثر أخذا للقرآن فإن أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد**». رواه البخاري وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**إن الله عز وجل قال من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب**». رواه البخاري، وثبت في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «**من صلى الصبح فهو في ذمة الله تعالى فلا يطلبنكم الله بشئ من ذمته**». وعن الإمامين الجليلين أبي حنيفة والشافعي رضي الله عنهما قالا: إن لم يكن العلماء أولياء الله فليس لله ولي» أ.هـ[٣].

وقال النووي أيضًا في «التبيان»: «وعليه أن ينظر معلمه بعين الاحترام، ويعتقد كمال أهليته ورجحانه على طبقته، فإنه أقرب إلى انتفاعه به، وكان بعض المتقدمين إذا ذهب إلى معلمه تصدق بشئ وقال اللهم استر عيب معلمي عني ولا تذهب بركة علمه

---

(١) أخلاق العلماء: (٤٢).

(٢) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب من أحق بالإمامة: (٤٦٥).

(٣) انظر التبيان في آداب حملة القرآن: (١٧ – ١٨).

مني. وقال الربيع صاحب الشافعي رحمهما الله: ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليّ هيبة له.

وروينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: من حق المعلم عليك أن تسلم على الناس عامة وتخصه دونهم بتحية، وأن تجلس أمامه، ولا تشيرن عنده بيدك، ولا تغمزن بعينيك، ولا تقولن قال فلان خلاف ما تقول، ولا تغتابن عنده أحدا، ولا تشاور جليسك في مجلسه، ولا تأخذ بثوبه إذا قام، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تعرض -أي تشبع- من طول صحبته. وينبغي أن يتأدب بهذه الخصال التي أرشد إليها علي كرم الله وجهه، وأن يرد غيبة شيخه إن قدر فإن تعذر عليه ردها فارق ذلك المجلس».

وقال أيضا: «وأن لا يدخل بغير استئذان إذا كان الشيخ في مكان يحتاج فيه إلى استئذان، وأن يسلم على الحاضرين إذا دخل ويخصه دونهم بالتحية، وأن يسلم عليه وعليهم إذا انصرف كما جاء في الحديث فليست الأولى أحق من الثانية، ولا يتخطى رقاب الناس بل يجلس حيث ينتهي به المجلس، إلا أن يأذن له الشيخ في التقدم، أو يعلم من حالهم إيثار ذلك، ولا يقيم أحدا من موضعه فإن آثره غيره لم يقبل اقتداء بابن عمر رضي الله عنهما إلا أن يكون في تقديمه مصلحة للحاضرين أو أمره الشيخ بذلك»[١].

وقال الخطيب البغدادي: عن عبد الرحمن بن حرملة الأسلمي قال: ما كان إنسان يجترئ على سعيد بن المسيب يسأله عن شئ حتى يستأذنه كما يستأذن الأمير[٢].

٣- احترام المصحف.

ومن آداب التلاوة أيضاً أنه ينبغي عليه أن يكون في حال القراءة على هيئة الأدب ما أمكنه، نعم ! يجوز له أن يقرأ القرآن قاعداً وقائماً وماشياً ومضطجعاً كل ذلك جائز

---

(١) التبيان: (٢٨ - ٢٩).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: (١ / ٢٧٥).

لأن الله قال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩١]، لكن لو جلس متخشعاً أحسن من أن يجلس مثلاً على جنبه متكئاً، فمن ناحية الجواز لا بأس أن يقرأ القرآن متكئاً، لكن الأفضل أن يجلس جلسة المتخشع، فالنبي ﷺ كان يتربع بعد صلاة الفجر، ويستقبل القبلة، ويذكر الله حتى تطلع الشمس.

يقول الزرقاني عن احترام المصحف: «ليس فيما نرى ونسمع كتاب أحيط بهالة من الإجلال والتقديس كالقرآن الكريم، حتى لقد وصفه الحق جل شأنه بأنه ﴿ كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾، وحكم بأنه ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾، وأقسم على ذلك إذ يقول: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾ [الواقعة: ٧٥-٨٠]. وحتى نهى الرسول ﷺ عن السفر به إلى أرض العدو إذا خيف وقوع المصحف في أيديهم والحديث مروي في الصحيحين» أ.هـ. (١).

٤- توقير مجلس التلاوة.

ينبغي لقاريء القرآن أن يوقر كتاب الله تبارك وتعالى، ومن توقيره أن يجلس جلسة لائقة به، تعينه على استحضار معانيه وتدبر آياته.

قال النووي في «التبيان»: «ويجلس متخشعا بسكينة ووقار مطرقا رأسه ويكون جلوسه وحده في تحسين أدبه وخضوعه كجلوسه بين يدي معلمه فهذا هو الأكمل» ويجوز أن يقرأ قائما أو مضطجعا أو في فراشه أو على غير ذلك من الأحوال، قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]، وثبت في الصحيح: عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ

(١) مناهل العرفان للزرقاني: ج١ / ٣٦٣.

يتكئ في حجري وأنا حائض ويقرأ القرآن. وقال النووي أيضا: «وينبغي أيضا أن يتأدب مع رفقته وحاضري مجلس الشيخ، فإن ذلك تأدب مع الشيخ وصيانة لمجلسه، ويقعد بين يدي الشيخ قعدة المتعلمين لا قعدة المعلمين، ولا يرفع صوته رفعا بليغا من غير حاجة، ولا يضحك ولا يكثر الكلام من غير حاجة، ولا يعبث بيده ولا بغيرها ولا يلتفت يمينا ولا شمالا من غير حاجة، بل يكون متوجها إلى الشيخ مصغيا إلى كلامه»[١].

٥- السعي في طلب العلم والحرص عليه.

العلم يؤتى إليه ولا يأتي هو لأحد، والسعي في طلب العلم دليل الافتقار والطلب، والافتقار هو بداية الفائدة ومفتاح الفهم والحكمة وسبب العطاء والنعمة، ومجالس التلاوة ولله الحمد منتشرة في المشارق والمغارب، وهذه عادة متواترة تناقلتها الأمة عبر الأجيال والقرون، حيث تعج المساجد بمجالس تعليم القرآن، وتصحيح التلاوة، وتجويد القرآن، وما على المسلم إلا السعي إليها والبحث عنها والالتحاق بها، حتى يكرمه الله بفهم القرآن وتلاوته حق تلاوته، فهذا كله يدخل تحت باب طلب العلم الذي رغب فيه النبي ﷺ، وذكر أن الملائكة تضع أجنحتها له رضاءا بما يصنع.

قال أبو بكر الآجري في كتابه أخلاق العلماء: «عن زر بن حبيش قال: أتيت صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه فقال: ما جاء بك؟ فقلت: جئت ابتغاء العلم فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من رجل خرج من بيته ليطلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضى لما يصنع»**. وروى عن صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إني جئت أطلب العلم فقال: **«مرحبا يا طالب العلم»**، إن طالب العلم لتحفه الملائكة، وتظله بأجنحتها، ثم يركب بعضهم

(١) التبيان: (٢٩).

بعضا، حتى يبلغوا سماء الدنيا من حبهم لما يطلب. وروى عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما سلك عبد طريقا يقتبس فيه علما إلا سلك به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى عنه، وإنه ليستغفر للعالم من في السموات، ومن في الأرض، حتى الحيتان في البحر**». وروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من خرج في طلب العلم، فهو في سبيل الله، حتى يرجع**»...»أ. هـ[١].

وقال الآجري أيضا في كتابه «أخلاق العلماء»: «ذكر صفته في طلب العلم فمن صفته لإرادته في طلب العلم: أن يعلم أن الله عز وجل فرض عليه عبادته، والعبادة لا تكون إلا بعلم، وعلم أن العلم فريضة عليه، وعلم أن المؤمن لا يحسن به الجهل، فطلب العلم لينفي عن نفسه الجهل، وليعبد الله كما أمره، ليس كما تهوى نفسه. فكان هذا مراده في السعي في طلب العلم، معتقدا للإخلاص في سعيه، لا يرى لنفسه الفضل في سعيه، بل يرى لله عز وجل الفضل عليه، إذ وفقه لطلب علم ما يعبده به من أداء فرائضه، واجتناب محارمه»[٢].

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «منهومان[٣] لا يشبعان: صاحب العلم، وصاحب الدنيا، ولا يستويان، أما صاحب العلم، فيزداد رضا الله، وأما صاحب الدنيا، فيزداد في الطغيان. قال: ثم قرأ عبد الله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، ثم قرأ للآخر: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦-٧]»[٤].

---

(١) أخلاق العلماء: (٢٧ – ٣٠).

(٢) أخلاق العلماء: (٤٠).

(٣) النَّهْمة: بلوغ الهِمَّة في الشيء، والشَّرَهُ والرغبة الشديدة.

(٤) أخلاق العلماء: (٤٨).